www.dar-alkotob.com دار الكتب

www.dar-alkotob.com دار الكتب

هارون الرشيد

الخليفة المفترى عليه

تأليف
عوض مصطفى القهوجي

دار الكتب www.dar-alkotob.com

كافة حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

المدائن للنشر والتوزيع
مدينة الأندلس والحجاز عمارة ١٤
العجمى البيطاش ت : ٤٣٣٢٧٩٨

دار الكتب www.dar-alkotob.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــــــة

إن الحمد لله، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلامضل له ، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما ﴾ الأحزاب : ٧٠-٧١.

أما بعد : .

فى أواخر عهد الأمويين شبت الثورات فى أنحاء الشام ودبت الفوضى فى العراق. ومن أعظم الفتن التى ظهرت فى العراق فتنة الخوارج بقيادة « الضحاك بن قيس » الذى كان يسعى إلى الخلافة يريدها، إلا أنه قتل وكانت الدولة الأموية قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى من الانهيار..

بدأت طلائع العباسيين فى الظهور عام ١٢٩ من الهجرة منذ أن بدأ «أبومسلم الخراسانى» يعمل على نشر الدعوة للخلافة العباسية فى «خراسان» التى تقع شرق بلاد فارس – وكان ذلك قبيل سقوط الدولة الأموية بثلاث سنوات – وتمخضت الحركة العباسية واجتماعاتها على الاتفاق على الوسائل التى تؤدى إلى القضاء على الحكم الأموى وتحويله إلى العباسيين.

كانت الدعوة العباسية فى بادئ الأمر سرية للغاية ، ثم انتقلت إلى «خراسان» – كما أسلفنا – وكونت فيها جمعية سرية ، قوامها اثنى عشر رجلاً

www.dar-alkotob.com دار الكتب

كانوا يسمون «النقباء» وعدد أعضائها سبعون داعية . وظل هؤلاء الدعاة يدعون ويرتبون الصفوف، ويكونون مراكز لهم، واتخذوا الكوفة مركزاً رئيسياً لدعوتهم فيها القيادة العليا التى كانت تتصل و تنسق مع جميع المراكز والمجموعات العاملة حتى قامت الثورة ...

فى عام ١٣٢ من الهجرة فى شهر جمادى الآخرة تقابلت الجيوش العباسية مع جيش الأمويين على نهر «الزاب الكبير» فى شمال العراق، وحلت الهزيمة بالأمويين وجيشهم، وفروا أمام العباسيين، وتمكن «مروان بن محمد» آخر الخلفاء الأمويين من الهرب إلى مصر وتعقبته جنود العباسيين وقضت عليه فى بلدة « بوصير» من أعمال الفيوم. وبذلك انتهى الحكم الأموى وبدأت دولة العباسيين وانتقلت الخلافة الإسلامية إليهم.

عاشت الدولة العباسية فترة طويلة تزيد على خمسة قرون، وافترشت مساحات واسعة من الأراضى، وواجهت العديد من المشاكل ومرت بأحداث ضخمة داخلية وخارجية، وظهرت أسر قوية وعناصر كبيرة سيطرت على الدولة أحياناً كالبرامكة، وبنى بويه، والسلاجقة، وتمتعت دول كثيرة بالاستقلال الفعلى عن الدولة كالطولونيين والاخشيديين فى مصر، وبنى طاهر فى خراسان، وبنى سامان فى فارس وما وراء النهر، والغزنويين فى أفغانستان والبنجاب والهند، وبنى بويه فى شيراز فى فارس، ثم السلاجقة...ومن الجدير بالذكر أن الدولة العباسية كانت إسلامية وتمثل الخلافة ، وكانت الفترة من ١٣٢ من الهجرة إلى ٢٣٢ من الهجرة من أحسن الفترات وأفضلها حيث القوة

(*) هذه المقدمة مقتبسة من كتاب : التاريخ الإسلامى العام ، د. على إبراهيم حسن

www.dar-alkotob.com دار الكتب

والتماسك والمنعة ، كما أنها هى مرحلة الخلفاء العظام من أمثال: أبو جعفر المنصور والرشيد والمعتصم وغيرهم، وكان الجهاد هو سمة هذه المرحلة . ثم كانت الفترة من ٢٣٢ من الهجرة إلى ٥٩٠ من الهجرة – التى سيطر فيها الأتراك والبويهيين على الخلفاء – وما أن جاء عام ٥٩٠ من الهجرة حتى عادت السلطة إلى أيدى الخلفاء فى حدود بغداد العاصمة وماحولها، دون بقية أملاك الخلافة التى سيطر عليها الطامعون، وظلت هذه الفترة حتى عام ٦٥٦ من الهجرة وهى السنة التى دخل فيها التتار بقيادة «هولاكو» بغداد عاصمة الخلافة وهدم أسوارها، وأعمل المنجنيق فيها، وقتل الخليفة «المستعصم» وثلاثمائة من أصحابه، وطويت بذلك صفحة الخلافة العباسية فى بغداد.

وفى شهر شعبان من سنة ٦٥٨ من الهجرة خرج المسلمون من مصر بقيادة الملك «المظفر سيف الدين قطز» إلى بلاد الشام لقتال التتار، ووقع المصاف يوم الجمعة الخامس عشر من شهر رمضان وهزم التتار شر هزيمة ، ورجع المسلمون المجاهدون إلى مصر مرة أخرى – تحت قيادة «الظاهر بيبرس» – فقد قتل «قطز» – واجتمع فى القلعة مع الأعيان والعلماء وأعيدت الخلافة الإسلامية ولكن هذه المرة فى القاهرة وليست بغداد. وظلت الخلافة العباسية فى القاهرة إلى أن دخلها السلطان العثمانى « سليم الأول» وهزم المماليك فى معركة «الريدانية» وتسلم الخلافة الإسلامية من العباسيين وانتقلت الخلافة إلى تركيا، وبدأت فترة جديدة وهى خضوع المسلمين ووحدتهم تحت راية الخلافة الإسلامية المتمثلة فى الأتراك.

والذى يقرأ التاريخ الإسلامى بصفة عامة وتاريخ العصر العباسى الأول بصفة خاصة يخيل إليه أن العصر ما كان إلا أمة من السكارى والمتماجنين،

www.dar-alkotob.com دار الكتب

القائمين القاعدين بين القيان والغناء والخمر. وثمة أمر آخر وهو «هارون الرشيد» فكلما ذكر اسمه ارتبط فى الأذهان بالخمر والغناء والرقص ومجالس اللهو والنساء والجوارى وألف ليلة وليلة وأخته العباسة وغرامها وغير ذلك من التهم والشبهات...فهل سيرة الرشيد الحقيقية هكذا؟ أم أنها سيرة خليفة مسلم ملتزم بالإسلام، بلغ بملك المسلمين مالم يبلغه أحد قبله ولابعده من هيبة السلطان وسعة الآفاق وتأمين الحدود والثغور؟ وهل حقاً بغداد الرشيد هى بغداد الفسق والمجون و« ألف ليلة وليلة» بما فى هذه الليالى من ملذات وخمور ونساء وفجور؟ أم هى سيرة من كان يصلى الفرائض والنوافل ويحج عاماً ويغزو عاماً..؟ وإذا كان هارون الرشيد سئ الخلق كما شوهته الكتب وصاحب خمر ولهو ونساء وغير ذلك من ألوان الفسق والفجور فكيف كان يحكم دولة بهذا الاتساع العظيم ؟ وكيف خضعت له إمبراطورية الروم بملوكها ودفعوا له وللمسلمين الجزية السنوية ؟! كل هذه أسئلة تحتاج إلى اجابات شافية ...وإلى جهد شاق،.. وبعد تردد كثير أشرت واستخرت، وبعد نصح الكثيرين من الأصحاب والأحباب، عقدت العزم وتوكلت على الله وبدأت وكانت خطتى فى هذا الكتاب :-

أولاً: تجميع المراجع والمصادر الخاصة بالعصر العباسى بصفة عامة والعصر الأول بصفة خاصة، والكتب التى كتبت عن هارون الرشيد.

ثانياً: قراءة هذه المراجع والمصادر ومناقشة أهل التخصص من العلماء والأساتذة والموجهين وخاصة فى الشبهات التى أثيرت حول الرشيد.

ثالثاً: قمت بترتيب عناصر الكتاب الرئيسية ثم قمت بالتدوين والموازنة والمراجعة والتحليل والاستنباط والشرح ، وقد استغرق منى حوالى سبعة عشر شهراً.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

رابعاً: ثم استقر بى الحال على تقسيم الكتاب على النحو التالى :-

القسم الأول : عائلة هارون الرشيد: جده : أبو جعفر المنصور، أبوه : المهدى ابن أبى جعفر المنصور، أمه : الخيزران زوجة الخليفة المهدى. وقد ركزت فى هذا القسم على مآثرهم ومحاسنهم وأخلاقهم رضى الله عنهم أجمعين.

القسم الثانى: مولده وتربيته وزواجه: وقد أشرت فيه على سنة مولده وتربيته تربية إسلامية والعلماء الذين تربى على أيديهم ثم نبذه عن جهاده وقيادته للجيوش ضد الروم بأمر من أبيه المهدى، وذكرت بعد ذلك زواجه وزوجته زبيدة على وجه الخصوص مع ذكر مآثرها ومحاسنها.

القسم الثالث: توليه الخلافة وأهم الحوادث فى عصره: ابتدأت ذلك القسم بالبيعة بعد وفاة أخيه الهادى، ثم رتبت فترة خلافته رضى الله عنه من سنة ١٧٠ من الهجرة حتى سنة وفاته ١٩٣ من الهجرة، وقد آثرت أن أكتب وأسجل هذه الفترة بالسنوات وحوادثها على نهج المؤرخين القدامى، وغرضى من ذلك أن يتعايش القارئ مع الأحداث سنة بسنة كأنه يعاينها. ثم ذيلت هذا القسم بموجز عن صورة الدولة فى عصر الرشيد من خلال أقوال المؤرخين.

القسم الرابع: صفاته وأخلاقه ومآثره : تناولت فيه صفاته الجسمية وأخلاقه التى منها : إيمانه وخشوعه واتصاله بالله – حبه للعلم والعلماء وتقديره لحكمهم – توبيخه لنفسه وتأديبه لها – إنفاقه وعطاؤه فى سبيل الله – حرصه على تراث المدينة وبره بأهلها – حرصه على الدعوة إلى الله وانقياده للحق.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

القسم الخامس: التهم والشبهات التى أثيرت حوله: تناولت فيه الاتهام بشرب الخمر – مجالس اللهو والطرب والغناء والجوارى – قصص ألف ليلة وليلة – كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى كمرجع من المراجع التى اعتمد عليها الكثير من الكتاب فى عرض سيرة الرشيد.

القسم السادس: قائمة باسماء المراجع والمصادر التى استعنت بها واسم مؤلفها وتاريخ الطبعة ودار النشر التى تولت نشرها.

هذا مع اعترافى بالفضل لله تبارك وتعالى أن وفقنى لمثل هذا العمل ثم اعترافى بالفضل للسادة الأماجد الأماثل على ماقدموه لى من النصح والإرشاد:–

– فضيلة الشيخ : محمد العريان. (من علماء الأزهر الشريف)
– الأستاذ الفاضل: نبيل البهتيمى (موجه أول الدراسات الاجتماعية)
– الأستاذ الفاضل : عبد الكريم جنيدى (موجه أول الدراسات الاجتماعية)
– الأستاذ الفاضل : إبراهيم ناجى (موجه أول الدراسات الاجتماعية).
–الأستاذ الفضل: سمير الجوهرى (موجه أول الدراسات الأجتماعية)

– كما أخص بالشكر : الأستاذ – سعد سويسة ، الأستاذ: سامى سليم على مساعدتهما لى فى الكتابة والترتيب فجزى الله الجميع خير الجزاء. هذا مع اقرارى بالتقصير وشكرى مقدماً لكل من يجد أخطاء أو ملاحظات على الكتاب ثم يقدمها إلى . ربنا اغفر لنا ذنوبنا، واسرافنا فى أمرنا، وتجاوز عن أخطائنا ، وعافنا، واعف عنا، واغفر لنا، إنك أنت الغفور الرحيم.. فباسمه تعالى وعلى بركته سبحانه نبدأ..

دمنهور : ٢١ جمادى الآخرة ١٤١٤هـ. ٥ ديسمبر ١٩٩٣م

عوض مصطفى القهوجى
دمنهور – البحيرة – مصر
ت : ٤٥/٣٤٩٢٩٨.

www.dar-alkotob.com دار الكتب

عائلة هارون الرشيد

١- أبو جعفر المنصور :

جد هارون الرشيد، ثانى الخلفاء العباسيين بعد أبو العباس السفاح، بويع له بالخلافة فى ذى الحجة سنة ١٣٦ من الهجرة وعمره يومئذ إحدى وأربعون سنة خطب يوماً فى يوم عرفة قال : « يا أيها الناس : إنما أنا سلطان الله فى أرضه، أسوسكم بتوفيقه ورشده، وخازنه على ماله أقسمه بإرادته وأعطيه بإذنه، وقد جعلنى الله عليه قفلاً فإن شاء أن يفتحنى لأعطياتكم وقسم أرزاقكم فتحنى، وإن شاء أن يقفلنى عليه قفلنى، فارغبوا إلى الله أيها الناس وسلوه فى هذا اليوم الشريف الذى وهبكم فيه من فضله ما أعلمكم به فى كتابه، إذ يقول : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً» أن يوفقنى للصواب ويسددنى للرشاد ويلهمنى الرأفة بكم والإحسان إليكم لأعطياتكم وقسم أرزاقكم بالعدل عليكم، فإنه سميع مجيب»[(١)].

* **ومن محاسنه ومآثره وأعماله** : كان (المنصور) عفوا كريما ، حضر عنده « مبارك بن فضالة» - أحد العلماء - يوماً وقد أمر برجل أن يضرب عنقه وأحضر النطع والسيف، فقال له مبارك: سمعت الحسين يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم من كان أجره على الله فلايقوم إلا من عفا] . فأمر المنصور بالعفو عن ذلك الرجل. ثم أخذ يعدد على جلسائه عظيم جرائم ذلك الرجل وماصنعه[(٢)].

(١) البداية والنهاية : جـ١٠ ، ص ١٢٢-١٢٣.
(٢) نفس المصدر : جـ١٠، ص ١٢٣ .

- دخل عليه أحد الزهاد وقال له : « إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها، واذكر ليلة تبيت فى القبر لم تبت قبلها ليلة ، واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده» فأفحم المنصور قوله وأمر له بمال فقال الزاهد : « لو احتجت إلى مالك لما وعظتك »(٣). ودخل عليه « عمرو بن عبيد القدرى» فأكرمه المنصور وعظمه وقربه وسأله عن أهله وعياله ثم قال له : عظنى . فقرأ عليه سورة الفجر إلى قوله تعالى : ﴿ إن ربك لبالمرصاد﴾ فبكى المنصور بكاءً شديداً حتى كأنه لم يسمع بهذه الآيات قبل ذلك ، ثم قال له : زدنى. فقال عمرو : إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها، وإن هذا الأمر كان لمن قبلك ثم صار إليك ثم هو صائر لمن بعدك، واذكر ليلة تسفر عن يوم القيامة . فبكى المنصور أشد من بكائه الأول حتى اختلفت أجفانه(٤). وهذا يدل على مدى صلته بالله وخشوع قلبه عند سماع الموعظة .

- ذكروا عنه أنه كان حريصاً غاية الحرص على أموال بيت مال المسلمين، ومن شدة حرصه كان يلبس المرقع من الثياب وهو خليفة ، ولايستحل لنفسه أن يأخذ من بيت المال شيء. رأته جارية وقميصه مرقوعاً، فقالت : خليفة وقميصه مرقوع: فقال: ويحك أما سمعت قول ابن هرمة :-

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه خلق، وجيب قميصه مرقوع(٥).

---

(٣) نفس المصدر: جـ١٠، ص ١٢٤.

(٤) نفس المصدر : جـ ١٠ ، ص ١٢٤.

(٥) تاريخ الخلفاء : ص ٢٦٧.

– أخرج ابن عساكر بسنده أن أبا جعفر المنصور كان يرحل فى طلب العلم قبل الخلافة . وقال الصولى : كان المنصور أعلم الناس بالحديث والأنساب، مشهوراً بطلبه(٦) . وكان رضى الله عنه يهتم إهتماماً بالغاً بالعلم وترجمة العلوم المختلفة إلى اللغة العربية .

– اهتم أبوجعفر المنصور بولى عهده ابنه «المهدى» أيما إهتمام فمن وصاياه له لما ولاه العهد : يابنى إن الخليفة لايصلحه إلا التقوى، والسلطان لايصلحه إلا الطاعة . والرعية لايصلحها إلا العدل . وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة . وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه..يابنى استدم النعمة بالشكر . والقدرة بالعفو، والطاعة بالتأليف والنصر بالتواضع والرحمة للناس، ولاتنسى نصيبك من الدنيا ونصيبك من رحمة الله(٧) . وقال يوماً له : كم عندك من دابة؟ فقال: لا أدرى . فقال له: هذا هو التقصير، فأنت لأمر الخلافة أشد تضييعاً فاتق الله يابنى(٨) .

– كان المنصور فى أول النهار يتصدى للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والولايات والعزل والنظر فى مصالح العامة ، فإذا صلى الظهر دخل منزله واستراح إلى العصر، فإذا صلى العصر جلس لأهل بيته ونظر فى مصالحهم الخاصة ، فإذا صلى العشاء نظر فى الكتب والرسائل الواردة فى الآفاق، وجلس عنده من يسامره إلى ثلث الليل، ثم يقوم إلى أهله فينام فى فراشه

(٦) المصدر السابق ، ص ٢٦٣.
(٧) البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ١٢٣.
(٨) المصدر السابق، ص ١٢٦.

إلى الثلث الآخر ، فيقوم إلى وضوئه وصلاته حتى يتفجر الصباح، ثم يخرج فيصلى بالناس، ثم يدخل فيجلس فى إيوانه(٩).

- بلغه أن بعض العمال قد تصدى للصيد وأعد لذلك كلاباً وبزاة فكتب إليه : ثكلتك أمك وعشيرتك ، ويحك إنا إنما استكفيناك واستعملناك على أمور المسلمين، ولم نستكفك أمور الوحوش فى البرارى فسلم ماتلى من عملنا إلى فلان والحق بأهلك ملوماً مدحوراً(١٠). فهو بذلك مثالاً فى الحزم وحفظ الرعية من العمال المهملين.

- وفى أيامه ارتفعت راية الجهاد والإسلام ففتحت الملتان و القندهار من أرض السند، وهدم البد وبنى موضعه مسجد. وفى أيامه أيضاً خرج قسطنطين ملك الروم إلى بلاد الإسلام وأخذ ملطية عنوة وهدم سورها، فبعث المنصور أحد قواده فى سبعين ألف مقاتل لعمارتها فعمرها فى ستة أشهر(١١). وفى سنة إحدى وأربعين ومائة خرجت عليه طائفة تسمى الراوندية وهم قوم من أهل خراسان يعتقدون أن روح آدم عليه السلام حلت فى رجل عندهم يسمى عثمان بن نهيك وأن أبا جعفر المنصور هو ربهم الذى يطعمهم ويسقيهم، فلم يتركهم المنصور بل بعث إليهم الجيوش وظفر بهم وقتلهم عن آخرهم(١٢).

---

(٩) البداية والنهاية ، جـ١٠، ص ١٢٥.

(١٠) المصدر السابق ، ص ١٢٥.

(١١) مآثر الإنافة: جـ١١، ص ١٧٧، ١٧٨، وفى فتوح البلدان : « أن الملتان فتحها محمد بن القاسم فى أيام الوليد بن عبدالملك. ثم كفر أهل هذه البلاد ففتحت فى أيام المنصور.. البد: مبنى. أو صنم. تهدى إليه الأموال وتنذر له النذور. ويحج إليه السند فيطوفون ويحلقون رؤسهم ولحاهم عنده ويزعمون أن صنماً فيه هو أيوب عليه السلام من صفحة ٤١٦-٤٢٩.

(١٢) الإنافة : جـ١١، ص ١٧٨- تاريخ الخلفاء : ص ٢٦١.

- وفى سنة ١٥٨ من الهجرة عزم المنصور الحج ودعا ولده المهدى وأوصاه فى خاصة نفسه وبأهل بيته وبسائر المسلمين خيراً. وعلمه كيف تفعل الأشياء وتسد الثغور، وأوصاه بوصايا كثيرة ، وحرج عليه أن لايفتح شيئاً من خزائن المسلمين حتى يتحقق وفاته وقال له : « إن بها من الأموال مايكفى المسلمين - ولو لم يجب إليهم من الخراج درهم- عشر سنين. وعهد إليه أن يقضى ماعليه من الدين وهو ثلاثمائة ألف دينار، فإنه لم ير قضاءها من بيت مال المسلمين.. فامتثل المهدى ذلك كله(١٣). وفى أثناء الطريق إعتراه مرض الموت ودخل مكة ومات فيها، وكان آخر ماتكلم به أن قال : اللهم بارك لى فى لقائك .. يارب إن كنت عصيتك فى أمور كثيرة فقد أطعتك فى أحب الأشياء إليك شهادة أن لا إله إلا الله مخلصاً.. وبعد تجهيزه دفن فى مكة ، وقد حفروا له مائة قبر ودفنوه فى غيرها حتى لايعرف مكانه أحد. وكان نقش خاتمه : الله ثقة عبد الله وبه يؤمن. وكان عمره يوم موته ثلاثاً وستين سنة منها ثنتان وعشرون سنة فى الخلافة(١٤).

---

(١٣) البداية والنهاية جـ ١٠ ، ص ١٢٥.

(١٤) المصدر السابق، جـ١٠، ص ١٢٧ ، ١٢٨.

- أنظر تفصيل سيرة المنصور فى تاريخ الأمم والملوك ، جـ٦ من ص ١٢١-٣٤٢. والكامل فى التاريخ : جـ ٤، من ص ٣٤٧-٣٧٦/ جـ٥ من ص ٢-٤٩. وموسوعة التاريخ الإسلامى : جـ ٣ من ص ٧٥-١١٥ - التاريخ الإسلامى العام ٣٤٤-٣٦٧. والتاريخ الإسلامى : شاكر ،جـ٥ من ص ٩٩-١٢٣.

٢- المهدى ابن أبي جعفر المنصور

أبو هارون الرشيد، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه المنصور فى ذى الحجة من عام ١٥٨ من الهجرة ولما جاءه خبر موت أبيه بمكة -٠ كما تقدم - كتم الأمر يومين ثم نودى فى الناس.. الصلاة جامعة ، فقام فيهم خطيباً فأعلمهم بموت أبيه وقال : إن أمير المؤمنين عد دُعى فأجاب، وأمر فأطاع - واغروروقت عيناه - فقال: قد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم. عند فراق الأحبة ، ولقد فارقت عظيماً وقلدت جسيماً، فعند الله أحتسب أمير المؤمنين، وبه أستعين على خلافة المسلمين، أيها الناس أسروا مثل ماتعلنون من طاعتنا نهبكم العافية ، وتحمدوا العاقبة ، واخفضوا جناح الطاعة لمن نشر معدلته وطوى الإصر عنكم، وأهال عليكم السلامة من حيث رآه الله مقدماً ذلك ، والله لأفنين عمرى بين عقوبتكم والإحسان إليكم(١٥) . وكان سنه حين ولى الخلافة مابين الثلاثين والأربعين(١٦) . ويعتبر المهدى ثالث الخلفاء العباسيين .

* **محاسنه ومآثره وأعماله :-**

- إستخرج حواصل أبيه المنصور من الذهب والفضة التى كانت لاتحد ولاتوصف كثرة ، ففرقها فى الناس، ولم يعط أهله ومواليه منها شيئاً، بل أجرى لهم أرزاقاً بحسب كفايتهم من بيت المال.. وقد كان أبو المنصور حريصاً - كما أسلفنا - على توفير بيت المال(١٧) .

---

(١٥) تاريخ الخلفاء ، ص ٢٧٢ - البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ١٥٢ .

(١٦) مآثر الإنافة ، جـ١١، ص ١٨٤،

(١٧) البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ١٥٢-١٥٣.

- ومع بداية عهده أطلق المسجونين إلا من كان محبوساً بأمر القضاء كما أجرى الأرزاق على من بقى مسجوناً. وأمر بمنع مرضى الجذام من أن يتسولوا وأجرى عليهم الأرزاق(١٨).

- فى يوم من الأيام، هاجت ريح شديدة ، فدخل المهدى بيتاً فى داره فألزق خده بالتراب وقال: اللهم إن كنت أنا المطلوب بهذه العقوبة دون الناس فها أنا ذا بين يديك ، اللهم لاتشمت بى الأعداء من أهل الأديان. فلم يزل ذلك حتى انجلت . وهذا دليل على إتصاله بالله وقت الأزمات(١٩).

- ومن حسن تصرفه ورجاحة عقله . دخل عليه رجل يوماً ومعه نعل فقال: هذه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهديتها لك . فقال المهدى: هاتها، فناوله إياها، فقبلها ووضعها على عينيه وأمر له بعشرة آلاف درهم. فلما انصرف الرجل قال المهدى: والله إنى لأعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم. لم ير هذه النعل، فضلاً عن أن يلبسها. ولكن لو رددته لذهب يقول للناس: أهديت إليه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها على، فتصدقه الناس، لأن العامة تميل إلى أمثالها، ومن شأنهم نصر الضعيف على القوى وإن كان ظالماً، فاشترينا لسانه بعشرة آلاف درهم، ورأينا هذا أرجح وأصلح(٢٠).

(١٨) مآثر الإنافة ، جـ١١، ص ١٨٥، موسوعة التاريخ الإسلامى : جـ٣، ص ١١٨. - التاريخ الإسلامى العام ، ص٣٦٨ ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٦ ، ص ٣٥٣.

(١٩) البداية والنهاية مج١٠، ص ١٥٣ .

(٢٠) المرجع السابق ، جـ١٠ ، ص ١٥٣.

- إهتم المهدى إهتماماً بالغاً بفنون العمارة والبناء، فأقام المدن العامرة والأسوار حولها، ووسع المسجد النبوى فى المدينة وجمله وزينه بالفسيفساء والعمد الرائعة ، وكسا الكعبة بعد أن نزع الكسوة القديمة ، وأمر بأن تكون المنابر فى جميع المساجد على قدر منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر باتخاذ المصانع بطريق مكة، وتحديد الأميال، وهو أول من عمل البريد من الحجاز إلى العراق(٢١).

- ومن سماحة أخلاقه: قدم مرة البصرة فخرج ليصلى بالناس فجاء أعرابى فقال: يا أمير المؤمنين مر هؤلاء فلينتظرونى حتى أتوضأ - يعنى المؤذنين - فأمرهم بانتظاره، ووقف المهدى فى المحراب لم يكبر حتى قيل له هذا الأعرابى قد جاء فكبر، فتعجب الناس من سماحة أخلاقه(٢٢).

- قال الواقدى : دخلت على المهدى يوماً فحدثته بأحاديث فكتبها عنى ثم قام فدخل بيوت نسائه ثم خرج وهو ممتلئ غيظاً فقلت : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال: دخلت على (الخيزران) فقامت إلى ومزقت ثوبى وقالت : ما رأيت منك خيراً، وإنى والله ياواقدى إنما اشتريتها من نخاس، وقد نالت عندى ما نالت ، وقد بايعت لولديها بإمرة المؤمنين من بعدى. فقلت: يا أمير المؤمنين إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إنهن يغلبن الكرام ويغلبن اللئام» وقال: خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى، وقد خلقت المرأة من

(٢١) تاريخ الخلفاء ص-٢٧٣- التاريخ الإسلامى العام-٣٦٧ .مآثر الإنافة جـ١١ص-١٨٥، ١٨٦-
المصانع: جمع مصنع أو مصنعه وهو مايجمع فيه ماء المطر والحوض والمصانع أيضاً: القرى والحصون والقصور.

(٢٢) البداية والنهاية جـ١٠ص-١٥٤.

ضلع أعوج إن قومته كسرته» وحدثته فى هذا الباب بكلام حضرنى. فأمــر لى بألفى دينار، فلما وافيت المنزل إذا رسول الخيزران قد لحقنى بألفى دينار إلا عشرة دنانير، وإذا معه أثواب أخرى وبعثت تشكرنى وتثنى على معروفا[٢٣].

- وقفت إمرأة للمهدى وقالت له : ياعصبة رسول الله اقض حاجتى فقال المهدى : ماسمعتها من أحد غيرها، اقضوا حاجتها واعطوها عشرة آلاف درهم[٢٤]. فقد كان المهدى كريماً فى عطائه وجوده منفقاً لايخشى الفاقة.

- درس المهدى القرآن وتأثر به وعكف على دراسة الأخبار والأشعار، فنشأ فصيحاً بليغاً، يجيد قول الشعر، ويحفظ كثيراً من أمثال العرب. كان يحترم العلماء ويسمع نصائحهم ويحكم فى الرعية بالإسلام وقوله . وصى مالك المهدى يوماً فقال: « أوصيك بتقوى الله وحده والعطف على أهل بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيرانه، فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: المدينة مهاجرى. وبها قبرى. وبها مبعثى. وأهلها جيرانى. وحقيق على أمتى حفظى فى جيرانى فمن حفظهم كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة .

- ورث المهدى عن أبيه علمه.. وكان المهدى يزور مالكاً ويقعد فى حلقته. ويبعث ولديه الهادى والرشيد ليسمعا كتبه... وأمر واليه على المدينة أن يكون

(٢٣) المصدر السابق جـ/١٠ صـ١٥٣.

(٢٤) البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٥٥ - تاريخ الخلفاء صـ٢٧٤.

مالك مرجعه فى كل الأحكام. وكان مالك إذا قدم إلى المهدى لم يجلس بين الزحام ولكن يشركه المهدى فى مجلسه(٢٥).

- وفى سنة ١٥٩ من الهجرة بايع المهدى بولاية العهد لولديه الهادى وبعده هارون الرشيد(٢٦). ومن الجدير بالذكر أن المهدى لبث فى الخلافة عشر سنوات وشهر ونصف الشهر. وأدركته الوفاة فى ٢٢ محرم من عام تسع وستين ومائة(٢٧).
- وكان نقش خاتمه : حسبى الله(٢٨). وتولى الخلافة بعده ابنه الهادى. ولكن الهادى لم يلبث أن توفاه الله فى ربيع الأول سنة سبعين ومائة . وتقلد الخلافة بعده أخوه هارون الرشيد(٢٩).

٣- الخيزران :

أم هارون الرشيد، زوجة الخليفة المهدى اشتراها المهدى وهى جارية وحظيت عنده جداً ثم أعتقها وتزوجها وولدت له خليفتين: الهادى والرشيد. قيل فى شرائها : ولما عرضت الخيزران على المهدى ليشتريها أعجبته إلا دقه فى ساقيها فقال لها : ياجارية إنك غاية المنى والجمال لولا دقة ساقيك . فقالت : ياأمير المؤمنين إنك أحوج ماتكون إليها لاتراها. فاستحسن جوابها واشتراها(٣٠). وقيل فى أصلها أنها يمنية الأصل(٣١).

---

(٢٥) التاريخ الإسلامى العام:صـ٣٦٩- مالك بن أنس صـ٢٥٤، ٢٥٥.
(٢٦) تاريخ الخلفاء صـ٢٧٣. (٢٧) البداية والنهاية جـ١٠/صـ١٥٦.
(٢٨) مآثر الإناقة: جـ١١صـ١٨٤.
(٢٩) تاريخ الأمم جـ٦صـ٤٠٦ الكامل فى التاريخ: جـ٥صـ٧٣-مروج الذهب:جـ٣صـ٣٣٤.
(٣٠) البداية والنهايةجـ١٠صـ١٦٣. (٣١) نساء فاضلات صـ١٠٦

* **ومن محاسنها ومآثرها:**

- كانت الخيزران فى خلافة إبنها الهادى كثيراً ماتكلمه فى الحوائج فكان يجيبها إلى كل ماتسأله حتى مضى لذلك أربعة أشهر من خلافته وانثال الناس عليها فكانت المواكب تغدو إلى بابها وتروح. فحاول الهادى منعها من ذلك حتى قال لها: «متى وقف ببابك أمير ضربت عنقه، أمالك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو سبحه»(٣٢). ما للنساء والكلام فى أمر الرجال(٣٣). ثم جمع القواد وكلمهم بكلام فج عظيم ومنعهم من الذهاب إليهاوقصدت الحوائج. واستجابت الخيزران رضى الله عنها وشغلت نفسها بمانصحت به.

- قال المهدى للخيزران: أريد أتزوج. فقالت له:لايحل لك أن تتزوج على. قال: بلى،قالت له: بينى وبينك من شئت، قال: أترضين سفيان الثورى؟ قالت: نعم، فدعاه المهدى فقال: إن أم الرشيد (الخيزران) تزعم أنه لايحل لى أتزوج عليها وقد قال الله عز وجل: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) ثم سكت، فقال له سفيان الثورى أتم الآية، (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة). وأنت لا تعدل(٣٤).فقد كانت الخيزران فقيهة تعرف الفقه والقرآن والحديث، أخذت الفقه عن الإمام الأوزاعى رضى الله عنه.(٣٥)

---

(٣٢) النجوم الزاهره جـ٢صـ٦٤– الطبرى: جـ٦صـ٤٢٢، صـ٤٢٣.

(٣٣) الطبرى: جـ٦صـ٤٢٢.

(٣٤، ٣٥)هارون الرشيد: صـ١٥– وفيات الأعيان جـ٢صـ٣٨٩ سفيان الثورى، الأوزاعى كانا من العلماء الأماجد.

- حجت الخيزران مرة فى حياة المهدى زوجها فكتب إليها وهى بمكة يستوحش لها ويتشوق إليها بهذا الشعر:-

نحن فى غاية السرور ولكـــن ليـس إلا بكـــم يتم الســـرور
عيب مانحن فيه يا أهـل ودى أنكـم غيب ونحـن حضـــور
فأجدوا فى السـير إن قدرتـم أن تطـيروا مع الريـاح فطـيروا

فأجابته على هذا الشعر قائلة:-

قد أتانا الذى وصفت من الشـو ق فكـدنا وماقـــدرنا نـــطير
ليت أن الريـــاح كن يـؤديـن أليكـــم ما قـد يكن الضمـيـر
لم أزل حية فإن كنـت بعدى فى سرور فدام ذالك الســـرور(٣٦).

- كانت الخيزران عاقلة لبيبة دينة، كان دخلها فى السنة من ضياعها- ستة آلاف وستين ألف ألف درهم، فكانت تنفقها فى الصدقات وأبواب البر(٣٧) ومما ذكر فى ذلك:-

- دخل (أبو دلامة) على المهدى فقال: يا أمير المؤمنين، ماتت أم دلامة وبقيت ليس أحد يعطينى، فقال: إنا لله، أعطوه ألف درهم يشترى بها أمة تعاطيه، وكان قد دس أم دلامة على الخيزران، فقالت: ياسيدتى مات أبو دلامة وبقيت ضائعة، فأمرت لها بألف درهم، فدخل المهدى على الخيزران، وهو حزين فقالت: مابال أمير المؤمنين؟ قال: ماتت أم دلامة، فقالت: إنما مات أبودلامة، فقال المهدى: قاتل الله أبا دلامة وأم دلامة، قد خدعانا والله(٣٨).

(٣٦) البداية والنهاية جـ١٠صـ١٦٣.
(٣٧) النجوم الزاهره جـ٢صـ٧٢- الكامل فى التاريخ جـ٥صـ٨٧.
(٣٨) وفيات الأعيان جـ٢صـ٣٢٦.

- في عام إحدى وسبعين ومائة من الهجرة خرجت الخيزران إلى مكة فأقامت بها إلى أن شهدت الحج، فأنفقت أموالاً كثيرة... واشترت الدار المشهورة بها بمكة – المعروفة بدار الخيزران – فزادتها في المسجد الحرام(٣٩).

- ماتت الخيزران ليلة الجمعة لثلاث بقين من جمادى الآخر عام ١٧٣ من الهجرة ببغداد، ومشى ابنها الرشيد في جنازتها وعليه طيلسان أزرق، وقد شد وسطه و أخذ بقائمة التابوت حافيا يخوض في الطين والوحل من المطر الذى كان في ذلك اليوم حتى أتى مقابر قريش. فغسل رجليه وصلى عليها ودخل قبرها ثم خرج وتمثل بقول (متمم بن نويرة) الآبيات المشهورة التى أولها:-

وكنا كندماني جزيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني وما لكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا(٤٠).

ثم تصدق عليها بمال عظيم ولم يغير على جواريها وحواشيها شيئا مما كان لهم.

(٣٩) البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٦٢، ١٦٤.

(٤٠) النجوم الزاهره جـ٢ ص٧٢، ٧٣/ البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٦٤ – الكامل في التاريخ جـ٥ صـ٨٧.

مولده وتربيته وزواجه

مولده:-

ولد هارون الرشيد فى الرى وكان مولده فى شوال سنة ست وقيل سبع، وقيل ثمان وأربعين ومائة، وقيل سنة خمسين ومائة، وقيل سنة خمس وأربعين ومائة، وقيل سنة تسع وأربعين ومائة على إختلاف الروايات، والأرجح أنها خمس وأربعين ومائة، كانت ولادته فى خلافة جده المنصور سالف الذكر(١).

وترجمته كاملة: هاورن الرشيد أمير المؤمنين ابن المهدى محمد بن المنصور أبى جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشى الهاشمى -جده: المنصور- أخيه الهادى. أبوه وجده وأخيه من أعظم الخلفاء العباسيين(٢).

تربيته:-

تربى هارون الرشيد فى كنف جده المنصور وأبيه المهدى وأمه الخيزران وأخيه الهادى، فتعلم طرائق الخير وحب الإسلام والجهاد فى سبيل الله. ودفع به إلى العلماء والمربين فتعلم الفقه على الإمام الكسائى. فقد كان الكسائى إماماً فى فنون عديدة، النحو والعربية وأيام الناس - وتعلم الرشيد القرآن وقرأه على حمزة الزيات أربع مرات، واختار لنفسه قراءة صارت إحدى القراءات السبع، وتعلم النحو على كبر سنه، وخرج إلى البصرة وجالس الخليل بن أحمد وتعلم منه اللغة والأدب والعروض. فقد كان الخليل بن أحمد من أئمة اللغة العربية، وهو واضع علم العروض(٣).

(١، ٢)البداية والنهاية جـ١٠صـ٢١٣- تاريخ الأمم والملوك: جـ٦صـ٤٤١. تاريخ الخلفاء: صـ٢٧١٢٥٩، ٢٧٩، ٢٨٣- مآثر الأنافة: جـ١١صـ١٩٢موسوعة التاريخ الإسلامى: د.شلبى جـ٣صـ١٤٢.

(٣) هارون الرشيد: شوقى أبو خليل صـ١٣- الخليل ابن أحمد:وفيات جـ٢صـ٢٤٤.

لم يكتف أبوه المهدى بذلك بل ألقى به فى خضم الأحداث، فجعله أميراً للصائفة سنة ثلاث وستين ومائة من الهجرة، وفى سنة أربع وستين ومائة ولاه المغرب كله من الأنبار حتى أطراف أفريقيه، فكان الرشيد يرسل من قبله الولاه لهذه البقاع(٤).

وفى سنة ١٦٥ من الهجرة قام البيزنطيون بنشاط عدائى على الحدود الإسلامية، فسير المهدى ابنه الرشيد على رأس جيش قوامه حوالى مائة ألف مقاتل- وكان مع الرشيد القائد العظيم يزيد بن مزيد الشيبانى فأوغل الرشيد فى بلاد الروم وهزم عسكرهم، ثم صار بجيشه حتى بلغ خليج القسطنطينية، فأوقع الرعب فى قلب إيرينى أرملة ليو الرابع وكانت وصية على ابنها - وذلك أن إبنها كان صغيرا قد هلك أبوه وهو فى حجرها- فطلبت الصلح، وتم الصلح على جزية مقدارها سبعون ألف دينار كل سنة وأن تقيم لجيش المسلمين الأدلاء والأسواق فى طريق عودتهم، وكان قتلى الروم فى هذه المعركة أربع وخمسين ألفا، وكانت مدة هذه الهدنه ثلاث سنوات (٥). ومن الجدير بالذكر، أن الرشيد لم يكن يتجاوز العشرين من العمر(٦). وغنم فيها المسلمون مغانم كثيرة وفيها قال الشاعر مروان بن أبى حفصة:-

أطفت بقسطنطينية الـروم مسنداً ... إليها القنا حتى اكتسى الذل سورها.
وما رمـتها حتى أتتـك ملوكها ... بجزيتها والحـرب تغلـى قـدورها(٧).

---

(٤) موسوعة التاريخ الإسلامى: د.شلبى جـ٣صـ١٤٢.
(٥) الكامل فى التاريخ: جـ٥صـ٦٥ تاريخ الأمم والملوك: الطبرى جـ٦صـ٣٧٩، ٣٨٠- موسوعة التاريخ الإسلامى: د.شلبى جـ٣صـ٢٥٥.
(٦) التاريخ الإسلامى: شاكر جـ٥ صـ١٥٧.
(٧) الأمم والملوك:الطبرى جـ٦صـ٣٨٠.

زواجـــــــه:

لما بلغ هارون الرشيد من العمر عشرون عاماً فى عام ١٦٥ من الهجرة أعرس بابنة عمه زبيدة أم جعفر بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور وكان ذلك فى ذى الحجة من نفس السنة المذكورة فى خلافة المهدى وأقيم العرس فى قصره المعروف بالخلد وحشد الناس من الآفاق وفرق بينهم الأموال ولم ير فى الإسلام مثله(٨). وكانت زبيدة ذات حسن باهر وجمال طاهر.... وإنما لقبت زبيدة لأن جدها أبا جعفر المنصور كان يلاعبها ويرقصها ويقول إنما أنت زبيدة لبياضها- فغلب ذلك عليها فلا تعرف إلا به. وأصل اسمها أم العزيز(٩).

ظلت زبيدة فى كنف الرشيد تعضده وتقف بجواره إلى أن مات، وولدت له ولده الأمين محمد فى عام ١٧٠ من الهجرة، وكان الرشيد يحبها حباً شديداً كما كانت هى أيضاً. ماتت رضى الله عنها فى عام ٢١٥أو ٢١٦من الهجرة وهذا هو الأشهر(١٠).

---

(٨) وفيات الأعيان:جـ٢ صـ٣١٤، ٣١٥. التاريخ الإسلامى جـ٥ د. شلبى صـ١٥٩.

(٩) البداية والنهاية: جـ١٠صـ٢٧١.

(١٠) البداية والنهاية: جـ١٠صـ٢٧١- النجوم الزاهرة جـ٢صـ٢١٣.

وهذه بعض لمحات من حياتها ومآثرها:—

دينها:— كانت زبيدة أعظم نساء عصرها ديناً وأصلاً، فقد كان في قصرها مائة جارية تقرأ القرآن، فكان يسمع من قصرها دوى كدوى النحل من القراءة[11]. وكانت المائة جارية يحفظن القرآن، ولكل واحدة ورد عشر القرآن[12]. ومن حبها للإسلام والدين دفعت بإبنها الوحيد محمد الأمين إلى الإمام الكسائي سالف الذكر لكي يربيه ويؤدبه، فكان الكسائي يؤدبه بشدة ويقول إن محمداً مرشح للخلافة بعد أبيه، ولا يجوز التقصير في تأديبه[13]. ولم تزل زبيدة في حشمها أيام زوجها الرشيد وفي أيام ولدها محمد الأمين، وفي أيام ابن زوجها عبد الله المأمون لم يتغير من حالها شئ إلى أن ماتت[14].

إنفاقها:— كانت زبيدة كثيرة الإنفاق في سبيل الله فمن ذلك: أنها سقت أهل مكة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار، وأنها أسالت الماء عشرة أميال بحط الجبال ونحوت الصخر حتى غلغلته من الحل إلى الحرم[15]. وعملت لمائها عين كبيرة، فقال لها وكيلها: يلزمك نفقة كثيرة، فقالت أعملها ولو كانت ضربة فأس بدينار، فبلغت ألف ألف وسبعمائة دينار[16]. يقول أبو الحسن بن جبير في رحلته الشهيرة وهذه المصانع والبرك والآبار التي من بغداد إلى مكة من آثار زبيدة.......انتدبت

(١١) النجوم الزاهره جـ٢صـ٢١٤. (١٢) وفيات الأعيان جـ٢ صـ٣١٤.
(١٣) هارون الرشيد صـ٢٠.
(١٤) النجوم الزاهرة جـ٢ صـ٢١٤.
(١٥، ١٦)النجوم الزاهرة جـ٢صـ٢١٤.

لذلك مدة حياتها فأبقت فى هذا الطريق مرافق ومنافع تعم وفد الله تعالى كل سنة من لدن وفاتها إلى الآن، ولولا آثارها الكريمة فى ذلك لما سلكت هذه الطرق والله كفيل بمجازاتها، والرضى عنها[١٧]. وبلغت نفقاتها فى بعض حجاتها ألف ألف دينار، وبلغت نفقتها فى ستين يوما أربعة وخمسين ألف درهم، فرفع إليها وكيلها حساب النفقة، فنهته عن ذلك وقالت: ثواب الله بغير حساب[١٨].

رجاحة عقلها:– ولما قتل محمد الأمين ابنهاعام ١٩٨ من الهجرة دخل إليها بعض خدمها فقال لها: مايجلسك وقد قتل أمير المؤمنين محمد؟! فقالت: ويلك!! وما أصنع؟ فقال: تخرجين فتطلبين بثأره......فقالت: إخسأ لاأم لك، ماللنساء وطلب الثأر ومنازلة الأبطال؟[١٩].

وقوفها عند حدود الله:– جرى بين زبيدة وبين الرشيد مناظرة فى شئ من الأشياء فقال لها الرشيد فى عرض كلامه: أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة، ثم ندم واغتما جميعاً بهذه اليمين........فجمع الفقهاء وسألهم عن هذه اليمين فلم يجد منها مخرجاً، ولما قدم الليث بن سعد إلى بغداد سأله الرشيد فى ذلك، فاستحلفه الليث بن سعد أنه يخاف الله ثلاث مرات فحلف الرشيد بذلك، فقال له الليث: قال الله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾[٢٠].

---

(١٧) رحلة بن جبير: صـ١٦٥.

(١٨) وفيات الأعيان جـ٢ صـ٣١٤/هارون الرشيد صـ٢٢.

(١٩) مروج الذهب: المسعودى جـ٣صـ٤٢٣، ٤٢٤.

(٢٠) سورة الرحمن: ٤٦/الليث بن سعد إمام أهل مصر فى الحديث والفقه ولد عام ٩٤هـ ومات سنة ١٧٥هـ. وفيات الأعيان جـ٤ صـ١٢٧–١٢٩.

عفوها وكرمها: حضر شاعر ببابها وانشد:

أزبيـدة ابنـــه جعفر	طوبى لزائـــرك المثـاب
تعطين من رجـليك ما	تعطى الأكف الرغـاب

فتبادر الخدم إليه ليوقعوا به على سوء أدبه وعبارته فقالت: دعوه فإن من أراد خيراً فأخطأ خير ممن أراد شراً فأصاب، سمع الناس يقولون: شمالك أندى من يمين غيرك. فقدر أن هذا مثل ذلك، أعطوه ما أمل وعرفوه ماجهل(٢١).

زبيدةوالرشيد: مازح الرشيد أم جعفر زبيدة فقال لها: كيف أصبحت يا أم نهر؟ فاغتمت لذلك ولم تفهم معناه، فأنفذت إلى الأصمعى تسأله عن ذلك فقال: الجعفر النهر الصغير.......فطابت نفسها(٢٢).

ووقع بين الرشيد وبين زبيدة شرفتها جرا فعمل داود بن رزين شعراً يقول: –

زمـــن طيب ويـــــوم مطير	هـــذه روضـــة وهـــذا غدير
إنما أم جعفر جنة الخـــلد	رضاهـــا والسخط منهـــا السعير
أنت عبد لها ومولى لهذا الـــ	خلـــق طرا وليـــس فى ذانـــكير
فاعتذر ياخليفـة اللـه فى الأر	ض إليهـــا وتـــرك ذاك كـــبير

فصار إليها الرشيد عندما وقف على الأبيات، فسألت عن سبب مجيئه فعرفت، فأوصلت إلى داود مائة ألف درهم فى وقتها وأضعافها بعد ذلك(٢٣).

---

(٢١) وفيات الأعيان جـ٢ صـ٣١٥.

(٢٢) المصدر السابق جـ٣صـ١٧٣– الأصمعى، من علماء النحو واللغة والنوادر.

(٢٣) وفيات الأعيان جـ٣صـ٣١٥

طرفة: إختلف الرشيد وأم جعفر فى اللوزينج والفالوذج أيهما أطيب؟ فمالت زبيدة إلى تفضيل الفالوذج ومال الرشيد إلى تفضيل اللوزينج، وتخاطرا على مائة دينار، فاحضرا أبو يوسف القاضى وقالا له: يايعقوب قد إختلفنا فى كذا وكذا فاحكم فيه، فقال: ياأمير المؤمنين مايحكم على غائب وهو مذهب أبى حنيفة، فأحضر له جامين من المذكورين، فطفق يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة، وتحقق أنه إن حكم للرشيد لم يأمن غضب زبيدة، وإن حكم لها لم يأمن غضب الرشيد، فلم يزل فى الأكل إلى نصف الجامين فقال له الرشيد: إيه أبا يوسف، فقال: ياأمير المؤمنين، ما رأيت خصمين أجدل منهما، كلما أردت أن أسجل لأحدهما أدلى الأخر بحجته، وقد حرت بينهما، فضحك الرشيد وأعطاه المائة دينار وانصرف مشكورا(٢٤). وورد أنها رؤيت فى المنام فسئلت عما كانت تصنعه من المعروف والصدقات، وماعملته فى طريق الحج فقالت: ذهب ثواب ذلك كله إلى أهله، ومانفعنا إلا ركعات كنت أركعهن فى السحر(٢٥). ومن الجدير بالذكر أن زبيدة لم تكن الزوجة الوحيدة فى حياة الرشيد، ولكنه تزوج فى عام ١٨٧ من الهجرة العباسة بنت عمه سليمان بن أبى جعفر المنصور، كما تزوج عده نساء أخريات، وتوفى عن أربع منهن، وكانت له عده جوار أنجبن عدة أولاد منهم: المأمون وهو أكبر أولاده وتسمى أمه مراجل، والمعتصم وتدعى أمه ماردة، والقاسم المؤتمن وتسمى أمه قصف(٢٦). رضى الله عنهم أجمعين.

---

(٢٤) المصدر السابق جـ٣ صـ٣١٦، ٣١٧.

(٢٥) البداية والنهاية جـ١٠ صـ٢٧١.

(٢٦) التاريخ الإسلامى: شاكر جـ٥ صـ١٥٩، ١٦٠.

تولية الخلافة وأهم الحوادث في عصره

البيعة بالخلافة:-

بويع هارون الرشيد بالخلافة يوم الجمعة صبيحة الليلة التى مات فيها أخوه موسى الهادى بمدينة السلام، وذلك لإثنتى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول عام سبعين ومائة من الهجرة ١٧٠هـ [١]. وكانت سنه يوم ولى اثنتين وعشرين سنة، وقيل: كان يوم بويع بالخلافة ابن إحدى وعشرين سنة[٢]. ومقتضى كلام ابن حزم أنه ولى مابين العشرين إلى الثلاثين[٣]. وفى هذه الليلة ولد لها فيها عبد الله المأمون ولم يكن فى سائر الزمان ليلة مات فيها خليفة وقام خليفة وولد خليفة إلا هذه الليلة[٤].

وكان إستخلاف الرشيد بعهد من أبيه المهدى بعد الهادى وكان ذلك فى عام ست وستين ومائة ١٦٦هـ من الهجرة. ولما أفضت الخلافة إلى هارون الرشيد دعا يحى بن خالد بن برمك وقلده الوزارة وقال له: قد فوضت إليك أمر الرعية، وخلعت ذلك من عنقى وجعلته فى عنقك، فول من رأيت واعزل من رأيت[٥] وقيل أنه قال له:...فاحكم فى ذلك بما ترى من الصواب واستعمل من رأيت واعزل من رأيت وامضى الأمور على ماترى[٦]. وقيل أيضا أنه قال له: ياأبت، أنت أجلستنى فى هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك، وقد قلدتك الأمر[٧]. وفى ذلك يقول إبراهيم الموصلى:-

---

(١) مروج الذهب جـ٣ صـ٣٤٧.
(٢) تاريخ الأمم والملوك: جـ٦ صـ٤٤١.
(٣) مآثر الإنافة: جـ١١ صـ١٩٢.
(٤) تاريخ الخلفاء: صـ٢٨٣.
(٥) البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٦٠.
(٦) تاريخ الأمم والملوك جـ٦صـ٤٤٤ .وكان يحى بن خالد مربياً للرشيد وكان الرشيد يناديه أبى.
(٧) مروج الذهب: جـ٣صـ٣٤٨- الكامل فى التاريخ: جـ٥صـ٨٢.

ألم تر أن الشمس كانت سقيمـــة ... فلما ولى هارون أشـــرق نورها
بيمن أمين الله هــارون ذى الـندى ... فهـــارون واليها ويحى وزيـــرها[8].

ماجريات الحوادث فى عهده

سنه ١٧٠ من الهجرة: وفيها أمر الرشيد بسهم ذوى القربى أن يقسم بين بنى هاشم على السواء وتتبع الزنادقة وقتل منهم طائفة كثيرة [9]. وأمن من كان هارباً أو مستحقاً، وأصدر العفو العام عن المسجونين إلا المجرمين والمتهمين بالزندقة ومن كان فى عنقه حق الغير،[10]. وحج بالناس وأعطى أهل الحرمين عطاء كثيرا وقسم فيهم مالاً جليلاً، وقد قيل إنه حج فى هذه السنة وغزا فيها، وفى ذلك يقول داود بن رزين الشاعر:—

بهارون لاح النور فى كل بــلدة ... وقام به فى عدل سيرتـــه النهـــج
إمــام بـذات الله أصبـح شغلـــه ... وأكـــثر مـــايعنى به الغزو والحــج
تضيق عيـون الناس عن نور وجهه ... إذا مابدا للناس منظــــــره البلـــج
وإن أمين الله هـــــــارون ذا الندا ... ينيل الذى يرجوه أضعـاف مايرجو[11].

(٨) البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٦٠ تاريخ الأمم والملوك جـ٦ صـ٤٤٤.

(٩) البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٦١ مروج الذهب جـ٣ صـ٣٤٨.

(١٠) دراسات فى التاريخ العباسى: صـ٩٩.

(١١) تاريخ الأمم والملوك جـ٦ صـ٤٤٤, ٤٤٥. البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٦١– الزنديق :الذى يبطن الكفر ويظهر الاسلام ويشكك المسلمين فى عقيدتهم ويعمل على نشر المنكرات والمجون بينهم :التاريخ الإسلامى. فاروق عمر صـ١٩٧.

وكان حجه فى هذه السنه ماشيا، وسبب ذلك: أنه رأى رسول الله صلى اله عليه وسلم فى المنام فقال له: ياهارون، إن هذا الأمر صائر إليك فحج ماشيا، واغزو ووسع على أهل الحرمين.......... ولم يحج خليفة قبله ولا بعده ماشيا رحمه الله(١٢).وفى هذه السنه أيضا أمر هارون بعمارة طرسوس وعزل والى المدينةعلى ساكنها أفضل الصلاة والسلام واستعمل عليها واليا آخر حسن السيرة(١٣).

سنة ١٧١من الهجرة:وفيها أضاف الرشيد الخاتم إلى يحيى بن خالد مع الوزارة، وقتل بعض الخارجين على الدولة منهم الصحصح الخارجى والفضل بن سعيد الحرورى، وأبو هريرة محمد بن فروخ نائب الجزيرة، وأمر بإخراج من كان فى مدينة السلام من العلويين إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم(١٤).

سنة ١٧٢من الهجرة:وفيها عزل الرشيد والى الموصل واستعمل والياً غيره، كما عزل والى أرمينيه. واستعمل والى غيره، وأراد الرشيد فى هذه السنة أن يجد له موضعاً أخر غير بغداد يسكنه، فخرج إلى موضع آخر ولكنه اعتل فيه فرجع إلى بغداد مرة أخرى(١٥).

سنة ١٧٣من الهجرة: وفيها توفى بالبصرة محمد بن سليمان بن على فأمر الرشيد بالإحتياط على حواصله التى تصلح للخلفاء، فوجدوا من ذلك شيئاً كثيراً من الذهب والفضة والأمتعة وغير ذلك، فأرسل الرشيد من قبله

---

(١٢) النجوم الزاهرة: جـ٢ صـ٦٥.

(١٣) الكامل فى التاريخ جـ٥ صـ٨٣.

(١٤) البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٦٢ الكامل فى التاريخ جـ٥صـ٨٤./تاريخ الأمم والملوك جـ٦صـ٤٤٥

(١٥) نفس المصادر السابقة.

من أحصى هذه التركة الكبيرة فوجدوها: من الذهب ثلاث آلاف ألف دينار، ومن الدراهم ستة آلاف ألف، هذا غير الأملاك، وكان دخله فى كل يوم مائة ألف، وكان له خاتم من ياقوت أحمر لم يرمثله، فلما تم احصاؤها أمر الرشيد بوضعها فى بيت مال المسلمين ليستعان بها على الحرب وعلى مصالح المسلمين. ومحمد بن سليمان هذا كان من رجالات قريش وشجعانهم. جمع له المنصور جد هارون الرشيد بين البصرة والكوفة، وزوجه المهدى- والدهارون الرشيد- ابنته العباسة أخت هارون الرشيد. وتوفى هذا الرجل عن إحدى وخمسين سنة[١٦]. وتوفيت الخيزران أم الرشيد- على ماذكرنا-- وأنشد الرشيد قول الشاعر ابن نويرة حين دفنها:

وكنا كنـدمانى جريمة بـرهة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقا كأنى ومالكا   لطول إجتماع لم نبت ليلة معا[١٧].

وتوفيت غادر جارية الرشيد وكانت من قبل جارية لأخيه الهادى فلما توفى الهادى خطبها الرشيد وتزوجها وحظيت عنده جداً، حتى كانت تنام فى حجره فلا يتحرك خشية أن يزعجها.

وتوفيت فى هذه السنه أيضاً هيلانه جارية الرشيد، وهو الذى سماها هيلانه لكثرة قولها هى لانه............وكان الرشيد لها محباً، وكانت قبله لخالد بن يحيى بن برمك فوهبها للرشيد، وحظيت عنده أيضا، ومكثت عنده ثلاث سنين ثم توفيت ، فحزن عليها حزناً شديداً ورثاها بقوله:-

---

(١٦) البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٦٢، ١٦٣ بتصرف.

(١٧)البداية والنهاية جـ١٠صـ١٦٤، ١٦٥.

قـــد قلـــت لما ضمنوك الثرى   وجالت الحسـرة فى صـــــدرى
اذهب فلاق الله لاســـــــــرنى   بعدك شئ آخـــر الدهـــــر[18].

وفى هذه السنه عزل الرشيد والى خرسان جعفر بن محمد بن الأشعث وولاها ابنه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث وحج هارون بالناس وذكر أنه خرج محرما من مدينة السلام[19].

سنة ١٧٤من الهجرة: وفيها حج هارون الرشيد بالناس على طريق البصرة ودخل البصرة، ووسع فى جامعها من ناحية القبلة، ووقعت العصبية وثارت الفتن بين أهل السنه والرافضه، وولى الرشيد إسحاق بن سليمان العباسى إمرة السند ومكران[20]. وغزا القائد العباسى عبد الملك ابن صالح بلاد الروم ودخلها[21].ومن الأمور الخطيرة ظهور خطر دولة الأدارسة الشيعية بقيادة إدريس بن عبد الله الذى حاول فى هذه السنه توحيد المغرب كله وفصله عن الدولة العباسية.

سنة ١٧٥من الهجرة: وفيها أخذ الرشيد بولاية العهد من بعده لولده محمد بن زبيدة– سالفة الذكر– وسماه الأمين وعمره إذ ذاك خمس سنين، فقال سلم الخاسر:–

---

(١٨) المرجع السابق ، نفس الصفحة.
(١٩) تاريخ الأمم والملوك: جـ٦ صـ٤٤٧ .
(٢٠) النجوم الزاهرة: جـ٢ صـ٧٧. وقيل لما اقترب هارون الرشيد من مكة وهو فى طريقه للحج بلغة أن فيها وباءً فلم يدخل مكة حتى وقت الوقوف. وقف. ثم جاء المزدلفة ثم منى. ثم دخل مكة فطاف وسعى ثم ارتحل ولم ينزل بها. البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٦٥.
(٢١) تاريخ الأمم والملوك جـ٦ صـ٤٤٨/ البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٦٥.

قد وفـــق اللـه الخليفة إذ بنى بيـت الخلافة للهجـــان الأزهـر
فهو الخليفة عــن أبيـه وجـده شهدا عليه بمنظـــر وبمخبـــر
قد بايع الثقلان فى مهـد الهـدى لمحمد بن زبيدة ابنـــة جعفـــر[٢٢].

وفى هذه السنه أيضاً غزا الصائغة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح فبلغ إقريطية وقيل: غزاها عبد الملك نفسه وأصاب المسلمين فى هذه الغزاة برد شديد سقط منه كثير من أيدى الجند وأرجلهم[٢٣]. وعزل الرشيد عن خراسان العباسى بن جعفر وولاها خاله الغطريف بن عطاء[٢٤]. الذى قاتل الخوارج فقد خرج بخرسان حصين الخارجى وهزم الجيوش العباسية وعاث فى البلاد الفساد. فكتب الرشيد إلى الفطريف فى طلبه فسير إليه الفطريف أثنى عشر ألف جندى فلقيهم حصين ومعه ستمائة فهزمهم وقتل منهم خلقاً كثيرا[٢٥]. وفى هذه السنه حج الرشيد بالناس[٢٦].

سنة ١٧٦من الهجرة: وفيها كان ظهور يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ببلاد الديلم، واتبعه خلق كثير وجم غفير، وقويت شوكته، وارتحل إليه الناس من الأمصار، فانزعج لذلك الرشيد وقلق من أمره وخاصة أن هذا الرجل من الشيعة الذين فروا أمام جيوش العباسيين فى أول أمرهم فندب إليه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك فى خمسين ألفـــا، وولاه كور الجبل والرى وجرجان وطبرستان وقومس وغير ذلك، فصـار الفضـل

---

(٢٢) البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٦٥.
(٢٣) الكامل فى التاريخ: جـ٥ صـ٨٩.
(٢٤) تاريخ الأمم والملوك جـ٦ صـ٤٤٩.
(٢٥) الكامل فى التاريخ جـ٥ صـ٨٩ وقتل هذا الرجل سنة ١٧٧ من الهجرة.
(٢٦) تاريخ الأمم والملوك جـ٦ صـ٤٤٩.

ابن يحيى إلى تلك الناحية فى أبهة عظيمة، وكتب الرشيد تلحقه، وكاتب الرشيد صاحب(ملك) الديلم ووعده بألف ألف درهم إن هو سهل خروج يحيى إليهم، وكتب الفضل إلى يحيى بن عبد الله يعده ويمنيه ويؤمله وأنه إذا خرج إليه أن يقيم له العذر عند الرشيد، فامتنع يحيى أن يخرج إليهم حتى يكتب له الرشيد كتاب آمان بيده.فكتب الفضل إلى الرشيد بذلك ففرح الرشيد ووقع منه موقعاً عظيماً، وكتب الأمان بيده وأشهد عليه القضاه والفقهاء ومشيخه بنى هاشم. وبعث الأمان وأرسل معه جوائز وتحفاً كثيرة إليهم، ليدفعوا ذلك جميعه إليه، ففعلوا وسلمه إليه فدخلوا به بغداد، وتلقاه الرشيد وأكرمه وأجزل له فى العطاء ، وخدمه آل برمك خدمة عظيمة، بحيث أن يحيى بن خالد كان يقول: خدمته بنفسي وولدى(٢٧).

ولم يلبث الرشيد أن تنكر ليحيى فسجنه عند جعفر بن يحيى البرمكى، فرق عليه جعفر وأطلقه، وأرسل الرشيد من أعاده إلى السجن فى سرداب وكبله، ولم يزل فى سجنه حتى مات عام ١٨٠ من الهجرة ، وكثرت الروايات عن أسباب موته، فمنهم من قال: جوعاً وعطشاً، ومنهم من قال: عذاباً ومنهم من قال: انتهى أجله، ويقال إن امرأته غمت وجهه بمخدة فقتلته، فالله أعلم(٢٨). وفى هذه السنه وقعت فتنة عظمة بالشام بين النزارية، وهم قيس، واليمانية وهم يمن،......وأعادوا ماكانوا عليه فى الجاهلية، وقتل منهم خلق كثير.......فلما تفاقم الأمر بعث الرشيد من جهته موسى بن يحيى بن خالد ومعه جماعة من القواد ورؤس الكتاب، فأصلحوا بين الناس وهدأت الفتنه واستقام أمر الرعية، وحملوا جماعات من رؤس الفتنه إلى الرشيد فرد أمرهم إلى يحيى بن خالد فعفا عنهم وأطلقهم(٢٩).

---

(٢٧) البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٦٧.

(٢٨) المصدر السابق صـ١٦٨/ التاريخ الإسلامى: شاكر جـ٥ صـ١٦٦.

(٢٩) البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٦٨.

وفيها أيضاً عزل الرشيد والى مصر لما أراد خلع الرشيد والخروج عليه، كما خلع والى خراسان وولى غيره. وكان الرشيد لايعزل إلا أصحاب السيرة السيئة. ويولى أصحاب السيرة الحسنة.

سنة ١٧٧ - ١٧٩من الهجرة: فى سنة ١٧٧من الهجرة حج الرشيد بالناس ثم دخلت سنة ١٧٨من الهجرة وفيها قام الخوارج بفتنة عظيمة تزعمها الخارجى المشهور الوليد بن طريف وهو من تغلب أى من عرب الجزيرة، وتبعه عدد كبير بلغ ثلاثين آلفاً. وقامت هذه الفتنة بالجزيرة، وقتل الوليد بجيشه هذا خلقاً كثيراً من أهلها ثم مضى منها إلى أرمينية(٣٠) . وعاث فساداً فى البلاد التى دخلها وفيها أيضاً وثبت طائفة من الحوفية من قيس وقضاعة وسكان الجهة الشرقية من الدلتا على والى مصر إسحاق بن سليمان فقاتلوه وجرت فتنة عظيمة، وكان سببها أن والى مصر زاد على المزارعين فى الخراج فكرهته الناس وخرجوا عليه وحاربوه، فبعث الرشيد قائده هرثمة بن أعين فى خلق من الأمراء مدداً لإسحاق فقاتلهم حتى أذعنوا بالطاعة وأدوا ماعليهم من الخراج. واستمر هرثمة والياً على مصر نحواً من شهر عوضاً عن إسحاق بن سليمان (٣١).ولم ينته الأمر عند هذا الحد فسرعان ماوثبت طائفة من أهل إفريقية على واليها الفضل بن روح بن حاتم وقتلوه وخلعوا طاعتهم لدولة الخلافة، فبعث إليهم الرشيد قائده هرثمة بجيوش عظيمة فلم يلق حرباً بل أذعن إليه من كان ببلاد المغرب من العصاه لعظم هيبة هرثمة، فإنه كان شجاعاً مقداماً مهيباً، وكـــــان

(٣٠) البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٦٨. التاريخ الإسلامى العام على إبراهيم صـ٣٧٧.

(٣١) البداية النهاية جـ١٠ صـ١٧١ النجوم الزاهرة جـ٢ صـ٨٧، ٨٨.

الرشيد يندبه للمهمات الصعبة[٣٢]. وفى نفس السنة سار الفضل بن يحيى إلى خرسان فأحسن السيرة فيها وبنى الربط والمساجد، وغزا ماوراء النهر. واتخذ بها جنداً من العجم سماهم العباسية، .... وفتح بلاداً كثيرة، منها كابل......، وقهر ملك الترك وكان ممتنعاً. ثم قفل راجعاً إلى بغداد[٣٣].

سنة ١٧٩ من الهجرة: وفيها رجع الوليد بن طريف الخارجى إلى الجزيرة واشتدت شوكته وكثر أتباعه، فبعث إليه الرشيد قائده يزيد بن مزيد الشيبانى فراوغه، حتى قتله وتفرق أصحابه وكان هذا فى شهر رمضان، ولما علم الرشيد بمقتل الوليد بن طريف خرج معتمراً من بغداد شكراً لله على ما أبلاه فى الوليد بن طريف[٣٤]. ومن الجدير بالذكر أن الرشيد بعد أن انتهى من العمرة أقام بالمدينة إلى وقت الحج، وحج بالناس وشهد المشاهد والمشاعر كلها ماشياً على قدميه[٣٥].

ومن الخوارج الذين خرجوا على الدولة العباسية فى هذه السنة أيضاً، حمزة ابن أترك السجستانى خرج بخراسان. وبدأ ينتقل من مكان إلى آخر حتى قوى أمره، وعاث فساداً فى أرض خراسان[٣٦].

وتوفى فى هذه السنة الإمام مالك بن أنس أستاذ الرشيد فى الفقه والحديث وهو أحد الأئمة الأربعة، وصاحب المذهب المالكى[٣٧].

---

(٣٢) البداية والنهاية جـ١٠ حـ١٧١ النجوم الزاهرة جـ٢ صـ٩٤– الكامل فى التاريخ جـ٥صـ٩٤.
(٣٣) البداية والنهاية جـ١٠صـ١٧٢، ١٧٣.
(٣٤) المصدر السابق – الكامل فى التاريخ جـ٥صـ٩٧/تاريخ الأمم والملوك جـ٦ صـ٤٦٥.
(٣٥) الكامل فى التاريخ جـ٥صـ١٠١
(٣٦) الكامل فى التاريخ جـ٥ صـ١٠١/ التاريخ الإسلامى: شاكر جـ٥صـ١٦٨.
(٣٧) البداية والنهاية جـ١٠صـ١٧٤.

سنة ١٨٠ من الهجرة: وفيها هاجت الفتنة فى الشام بين النزارية واليمنية، فانزعج الرشيد لذلك، فندب جعفر البرمكى إلى الشام فى جماعة من الأمراء والجنود[٣٨]. وقال له: إما أن تخرج أنت أو أخرج أنا؟ فقال له جعفر بل أقيك بنفسى.... فأتاهم فأصلح بينهم، وقتل.....المتلصصة منهم[٣٩]. ولم يدع جعفر بالشام فرساً ولاسيفاً ولارمحاً إلا استلبه من الناس، وأطفأ الله به نار تلك الفتنة. وقال الشعراء فى ذلك شعراً – ثم كر جعفر راجعاً إلى بغداد بعدما استخلف على الشام عيسى العكى ولما قدم على الرشيد أكرمه وقربه وأدناه[٤٠].

وفيها هدم الرشيد سور الموصل بسبب كثرة الخوارج. وخرج بالجزيرة خراشة الشيبانى– من الخوارج– وقتل. وظهرت طائفة بجرجان يقال لها المحمرة لبسوا الحمرة واتبعوا رجلاً يقال له عمرو بن محمد العمركى، وكان ينسب إلى الزندقة، فبعث الرشيد يأمر بقتله فقتل وأطفأ الله نارهم فى ذلك الوقت[٤١].

وفيها أيضاً استعمل الرشيد على بن عيسى بن ماهان على خراسان، وظل واليها لمدة عشر سنين وفى ولايته خرج حمزة بن أترك سالف الذكر– وعاث الفساد فى الأرض. فأرسل على بن عيسى قواده وجنوده لقتاله فكثر القتل فيهم. وكانت المعارك تدور معهم فى القرى ومزارع العنب. حيث اختفى أصحاب حمزة الخارجى، ولكن حمزة ورجاله لم يكفوا بل خرج وسار فى القرى يقتل ولا يبقى على أحد، حتى وصل إلى منطقة يقال لها بوشيخ فانتهى إلى مكتب

---

(٣٨) البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٧٥.

(٣٩) تاريخ الأمم والملوك جـ٦ صـ٤٦٦.

(٤٠) البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٧٥.

(٤١) نفس المصدر السابق..

فيه ثلاثون غلاماً فقتلهم وقتل معلمهم فعلم أمير بوشيخ طاهر بن الحسين قد استعمله على بن عيسى عليها- بذلك فأتى قرية فيها قعد الخوارج- وهم الذين لايقاتلون- فقتلهم طاهر وأخذ أموالهم، وكان يشد الرجل منهم فى شجرتين يجمعهما ثم يرسلهما فتأخذ كل شجرة نصفه، فكتب، هؤلاء القعد إلى حمزة بن أترك أن يكف عن قتال أهل خراسان وضواحيها وقراها، فكف حمزة عن القتال وأمن الناس مدة، وكانت بينه وبين أصحاب على بن عيسى حروب كثيرة(٤٢).ومن حوادث هذه السنه أيضاً أنه كانت بمصر زلزلة شديدة سقط منها رأس منارة الإسكندرية وفيها استتاب الرشيد ابنه الأمين على بغداد(٤٣).

سنة ١٨١من الهجرة: وفيها غزا الرشيد بلاد الروم فافتتح حصناً يقال له الصفصاف فقال فى ذلك الشاعر مروان بن أبى حفصة:

أن أميـــر المؤمنين المنصفـــــا قد ترك الصفصاف قاعا صفصفا(٤٤).

وغزا عبد الملك بن صالح الروم فبلغ أنقرة وافتتح مطمورة (٤٥). وتغلب المحمرة على جرجان وحج الرشيد بالناس(٤٦). وأمر الرشيد أن يكتب فى صدور الرسائل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الثناء على الله عزوجل(٤٧).

وفى نفس السنة أيضاً كان الفداء بين الروم والمسلمين- وهو أول فداء كان أيام بنى العباس- ففرح الناس بذلك ففودى بكل أسير فى بلاد الروم- بمعنى أنه لم يبق مـــن المسلمين أسير عند الروم-وكـــان عدد الأسرى ثلاثة

(٤٢) الكامل فى التاريخ جـ٥صـ١٠٢ بتصرف.
(٤٣) البداية والنهاية جـ١٠صـ١٧٥.
(٤٧-٤٤) نفس المصدر السابق.

آلاف وسبعمائة وقيل أكثر من ذلك(٤٨) .وممن توفى في هذه السنه العابد الزاهد الفقيه عبد الله بن المبارك(٤٩) .رضى الله عنه.

سنة ١٨٢ من الهجرة: وفيها أخذ الرشيد لولده عبد الله المأمون ولاية العهد من بعد أخيه محمد الأمين بن زبيدة(٥٠).

وفى هذه السنة أيضاً غزا الروم عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح، فبلغ مدينة أهل الكهف وسحلت الروم عينى ملكهم قسطنطين بن أليون. وملكوا عليهم أمه رينى وتلقب أغسطة (٥٢) .وتوفى قاضى القضاة، أكبر أصحاب أبى حنيفه، القاضى أبو يوسف(٥٣) .وكان فقيهاعالماً، وكان هارون الرشيد لايقطع أمراً بدونه.

سنة ١٨٣ من الهجرة: وفيها دخل الخزر أرمينية، وعاثوا فيها فساداً، وسبوا من المسلمين وأهل الذمة نحواً من مائة ألف، وقتلوا بشراً كثيراً، وانهزم والى أرمينية أمامهم، وانتهكوا الحرمات، واغتصبوا المسلمات، وأقاموا فى البلاد سبعين يوماً، فأرسل الرشيد إليهم اثنين من القادة فى جيوش كثيرة كثيفة فأصلحوا مافسد فى تلك البلاد وأخرجا الخزر منها(٥٤) .وفى هذه السنة توفى محمد بن صبيح، ويعرف -بابن السماك- وله مواقف ومواعظ مع الرشيد كثيرة(٥٥) .وكان زاهداً عابداً رضى الله عنه.

---

(٤٨)الكامل فى التاريخ جـ٥ صـ١٠٦.

(٤٩) البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٧٧.

(٥٠-٥٣)نفس المصدر السابق..

(٥٤-٥٥) البداية والنهاية جـ١٠/ الأمم والملوك: الطبرى جـ٦ الكامل فى التاريخ جـ٥. النجوم الزاهرة جـ٢.

سنة ١٨٤ من الهجرة: وفيها سار الرشيد بالسفن فى نهر الفرات إلى مدينة السلام بغداد وطلب من الناس أداء الخراج الذى عليهم، وولى رجلاً يدعى عبد الله بن الهيثم بن سام يضرب الناس على ذلك ويحبسهم(٥٦).

وفى هذه السنة خرج بالجزيرة أحد الخوارج ويدعى أبو عمرو الشارى وهو من الخوارج، خرج على الدولة يريد محاربتها، فأرسل إليه الرشيد زهيراً القصاب فقتله بشهر زور(٥٧). وتخلص منه ومن فتنته. وممن توفى فى هذه السنه أحمد بن الرشيدوعبد الله بن عبد العزيز وغيرهم. وكان لهم مع الرشيد مواقف كثيرة.

وأحمد بن الرشيد هذا كان زاهداً عابداً قد تنسك، وكان لايأكل إلا من عمل يده فى الطين، وكان يعمل فاعلاً فيه، وليس يملك إلازنبيلاً– أى مجرفة وقفة– وكان يعمل فى كل جمعة بدرهم ودانق يتقوت بهما من الجمعة إلى الجمعة، وكان لايعمل إلا فى يوم السبت فقط. ثم يقبل على العبادة بقية أيام الجمعة. وكان من زبيدة فى قول بعضهم، والصحيح أنه من أمرأة كان الرشيد قد أحبها فتزوجها فحملت منه بهذا الغلام، ثم أن الرشيد أرسلها إلى البصرة وأعطاها خاتماً من ياقوت أحمر، وأشياء نفيسة، وأمرها إذا أفضت إليه الخلافة أن تأتيه، فلما صارت إليه الخلافة لم تأته ولا ولدها، بل اختفيا، وبلغه أنهما ماتا، ولم يكن الأمر كذلك، وفحص عنهما فلم يطلع لهما على خبر، فكان هذا الشاب يعمل بيده ويأكل من كدها، ثم رجع إلى بغداد، وكان يعمل فى الطين ويأكل مدة زمانية. هذا وهو ابن أمير المؤمنين، ولايذكر للناس من هو إلى

(٥٦–٥٧)نفس المصادر السابقة فى أحداث عام ١٨٤ من الهجرة.

أن اتفق مرضه فى دار من كان يستعمله فى الطين فمرضه عنده، فلما احتضر أخرج الخاتم وقال لصاحب المنزل: اذهب بهذا إلى الرشيد وقل له: صاحب هذا الخاتم يقول لك: إياك أن تموت فى سكرتك هذه فتندم، حيث لاينفع نادماً ندمه، واحذر انصرافك من بين يدى الله إلى الدارين، وأن يكون آخر العهد بك، فان ماأنت فيه لو دام لغيرك لم يصل اليك، وسيصير إلى غيرك وقد بلغك أخبار من مضى. قال: فلما مات دفنته وطلبت الحضور عند الخليفة، فلما أوقفت بين يديه قال: ماحاجتك؟ فقلت: هذا الخاتم دفعه إلى رجل وأمرنى أن أدفعه إليك، وأوصانى بكلام أقوله لك، فلما نظر الخاتم عرفه فقال: ويحك وأين صاحب الخاتم؟ قال قلت: مات يا أمير المؤمنين ثم ذكر أمره وماكان منه– قال: فلما سمع هذا الكلام قام فضرب بنفسه الأرض وجعل يتمرغ ويتقلب ظهراً لبطن ويقول: والله لقد نصحتنى يابنى، ثم بكى، ثم رفع رأسه إلى الرجل وقال: أتعرف قبره؟ قلت: نعم .....قال: إذا كان العشى فائتنى. قال: فأتيته فذهب إلى قبره فلم يزل يبكى عنده حتى أصبح، ثم أمر لذلك الرجل بعشرة آلاف درهم. وكتب له ولعياله رزقاً(٥٨).

سنة ١٨٥ من الهجرة:وفيها وثب أهل طبرستان على متوليهم مهرويه فقتلوه(٥٩).فولى الرشيد عليهم غيره(٦٠).وازدادت فتنة الخوارج فى هذه السنه، وكان بينهم وبين جيوش الرشيد قتال كثير فقد خرج حمزة الشارى ببلاد خرســان وعاث فيها فساداً، وكان من الخوارج، فنهض القائد العباسى عيسى

(٥٨) المرجع السابق.

(٥٩) النجوم الزاهرة جـ٢ صـ١١٨ وكذا الطبرى وابن الأثير وابن كثير فى أحداث عام ١٨٥ من الهجرة.

(٦٠) البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٨٦.

ابن على بن عيسى إلى عشرة آلاف من جيش حمزة فقتلهم وسار وراء حمزة إلى كابل(٦١). وقتل أبان بن قحطبة الخارجى، وهو من الخوارج الذين خرجوا على الدولة أيضاً(٦٢).وخرج أبو الخصيب– وهو من الخوارج– فى شرق الدولة العباسية وحاصر مناطق كثيرة إلا أنه هزم(٦٣).وفر أمام العباسيين، وتوفى فى هذه السنه رابعة العدوية الزاهدة المشهورة.

سنة ١٨٦من الهجرة: وفيها خرج على بن عيسى لحرب أبى الخصيب الخارجى– سالف الذكر– فقاتله. وسبى نساءه وذراريه، واستقامت خراسان (٦٤). وحج هارون الرشيد بالناس فى هذه السنة، ومعه إبناه محمد الأمين وعبد الله المأمون، ولما نزل المدينة أعطى أهلها الكثير من الأموال، قيل أعطاهم ثلاثة، كانوا يقدمون إليه فيعطيهم عطاءً، ثم إلى محمد فيعطيهم عطاءً ثانياً: ثم نزل المأمون فيعطيهم عطاءً ثالثاً. ثم صار إلى مكة فأعطى أهلها عطاءً فبلغ ذلك ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار(٦٥).وفى مكة أشهد القضاة والفقهاء والقواد على البيعة لولديه الأمين والمأمون وكتب ذلك فى كتاب وعلق فى الكعبة(٦٦).وكان الرشيد قد قسم البلاد الإسلامية كلها بين أولاده الثلاثة– الأمين، المأمون، المؤتمن.

---

(٦١) المرجع السابق.

(٦٢-٦٣)البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٨٦– تاريخ الأمم والملوك جـ٦ صـ٤٧٢. الكامل فى التاريخ جـ٥ صـ١١٠ بتصرف.

(٦٤) البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٨٧.

(٦٥)تاريخ الأمم الطبرى جـ٦ صـ٤٧٣.

(٦٦) تفصيل ذلك فى تاريخ الأمم الطبرى جـ٦ صـ٤٧٢، ٤٧٩.

سنة ١٨٧ من الهجرة: وفيها... كان مهلك البرامكة على يدى الرشيد، قتل جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى، ودمر ديارهم واندثرت آثارهم. وذهب صغارهم وكبارهم(٦٧). وقد اختلف فى سبب ذلك على أقوال.... منها:–

- ترفقهم بالشيعة أعداء الدولة وإطلاق سراح بعضهم.
- تبذيرهم فى النفقات والمصروفات وفى أموال المسلمين.
- تجسسهم على الرشيد وعلى أخباره ودولته.
- إتهامهم بالزندقة ومصاحبتهم للزنادقه.
- محاولتهم تأليب الشيعة عليه وعلى دولته.

وفى البداية والنهاية لابن كثير:

- إن البرامكة كانوا يريدون إبطال خلافة الرشيد وإظهار الزندقة.
- أنه قتلهم بسبب العباسة أخته ومختصر هذه القصة من خلال الروايات: أن الرشيد كان يحب أخته العباسة حباً شديداً وكان لايصبر على غيابها عنه فى مجالسه، فوجد أن ذلك لايحل فى وجود جعفر بن يحيى البرمكى معه لأنه غريب عنها، فزوجها من جعفر ليحل له النظر إليها، واشترط عليه أن لايطأها فتحايلت العباسة على جعفر وحملت منه، فلما علم الرشيد بذلك انتقم من البرامكة. هذه الرواية أنكرها العلماء منهم ابن خلدون لتناقضها فى البناء والجوهر واتفاقها فى الطعن والتجريح والحط من مجالس الرشيد ومافيها من أحتشام وأدب ودين: قلت: كيف لايستطيع الرشيد أن يعرف أن أخته حامل وهى فى مجلسه والحمل كما نعرف يظهر على جميع البدن، أما من ناحية عقد الزواج إذا

---

(٦٧) البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٨٩.

كان قدتم فمن من العلماء اشترك فيه وتحمله، لأن عقداً بهذه الشروط لايجوز شرعاً، فهل كان الرشيد من الجهل بالدين حتى يعقد عقداً بهذه الطريقة ؟! والذى خلصنا إليه أن الروايات الخاصة بالعباسة من وضع الشيعة والبرامكة فهى منكرة وملفقة.

وكان مدة دولة البرامكة وسلطانهم وأيامهم. من إستخلاف هارون الرشيد إلى قتل جعفربن يحيى بن خالد بن برمك سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوماً(٦٨). وتتبع الرشيد بعد ذلك كل من تعاطف معهم أو بكى عليهم أو ساعدهم ففى هذه السنه: غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح العباسى بسبب أنه بلغه أنه يريد الخلافة(٦٩). واشتد غضبه عليه أكثر بسبب مساعدة البرامكة له على الخروج على الخلافة وميله إليهم وتعاطفه مع من فى الحبس منهم(٧٠). فحبسه الرشيد ولم يزل محبوساً حتى توفى الرشيد(٧١). ومن الجدير بالذكر أن الرشيد لم يسجنه إلا بعد التثبت والمحاكمة عن بينه ومواجهته بمن بلغ عنه- وكان الذى بلغ عنه كاتبه وابنه- أى كاتب عبد الملك وابنه(٧٢).

وفيها قتل الرشيد أحد الأمراء ويدعى ابراهيم ابن عثمان بن نهيك وسبب ذلك أنه حزن على البرامكه. ولاسيما على جعفر، وكان يكثر البكـــاء

---

(٦٨) مروج الذهب: المسعودى جـ٣ صـ٣٨٩. من العلماء الذين أنكروا قصة العباسة ابن خلدون، الخطيب البغدادى، ابو المحاسن ابن تغرى بردى.........

(٦٩) البداية والنهاية جـ١٠صـ١٩٣ بتصرف.

(٧٠) التاريخ الإسلامى العام : على إبراهيم ، ص ٣٨٣ بتصرف.

(٧١) تاريخ الأمم والملوك: الطبرى جـ٦صـ٤٩٩.

(٧٢) الكامل فى التاريخ: جـ٥ صـ١١٦.

عليهم. ثم خرج من حيز البكاء إلى حيز الإنتصار لهم والأخذ بثأرهم، وكان إذا شرب فى منزله يقول لجاريته: ائتنى بسيفى، فيسله ثم يقول: والله لأقتلن قاتله،......فخشى ابنه .....أن يطلع الخليفة على ذلك فيهلكهم عن آخرهم، ورأى أن أباه لاينزع عن هذا، فذهب إلى الفضل بن الربيع فأعلمه، فأخبر الفضل الخليفة(٧٣) .فطلب الخليفة أن يدخل عليه ابنه أى ابن ابراهيم فدخل فاستخبره. فأخبره الخبر فقال له الرشيد: من يشهد معك عليه؟ فقال: خادمه نوال فجاء به فشهد، فقال له الرشيد: لايحل قتل أمير كبير بمجرد قول غلام وخصى، لعلهما قد تواطآ على ذلك، فأحضره الرشيد........ثم خلابه فقال: ويحك يا إبراهيم! إن عندى سراً أحب أن أطلعك عليه، أقلقنى فى الليل والنهار قال :وماهو؟قال: إنى ندمت على قتل البرامكة وودت أنى خرجت من نصف ملكى، ونصف عمرى ولم أكن فعلت بهم مافعلت، فانى لم أجد بعدهم لذة ولاراحة. فقا[illegible]: رحمة الله على أبى الفضل-يعنى جعفراً- وبكى، وقال: والله ياسيدى لقد أخ[illegible]أت فى قتله. فقال له: قم لعنك الله، ثم حبسه. ثم قتله بعد ثلاثة أيام. والذى تولى قتله بالسيف ابنه- أى ابن إبراهيم بن نهيك(٧٤).

وفيها بعث الرشيد ابنه القاسم على الصائفة ووهبه لله وجعله قرباناً له ووسيلة بين يديه، وولاه العواصم، فسار إلى بلاد الروم فحاصرهم، فبعث إليه الروم فى أن يطلقوا سراح ثلاثمائة وعشرين رجلاً من أسارى المسلمين على أن يرحل عنهم ، فأجابهم إلى ذلك وتم الصلح ورحل عن بلادهم(٧٥).

(٧٣، ٧٤) البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٩٣. وفى رواية الطبرى جـ٦صـ٥٠٣ كان إبراهيم بن عثمان كثيراً مايذكر جعفر بن يحيى والبرامكة فيبكى جزعاً عليهم وحباً لهم إلى أن خرج من حد البكاء ودخل فى باب طالبى الثأر.. وكان إذا خلا بجواريه وشرب وقوى عليه النبيذ قال: ياغلام سيفى ذا المنية. .فينتضيه ثم يقول: واجعفراه واسيداه. والله لأقتلن قاتلك. ولأثأرن بدمك عن قليل.

(٧٥) البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٩٣ ..تاريخ الأمم والملوك/ الطبرى جـ٦ صـ٤٩٦-صـ٥٠٠

* (العواصم: سلسلة الحصون الداخلية التى كان المسلمون يعتصمون بها من العدو)

وفيها نقضت الروم الصلح الذى كان بينهم وبين المسلمين، الذى كان عقده الرشيد مع ايرينى ملكة الروم الملقبة أغسطه- وقد ذكر ذلك من قبل- وسبب ذلك أو الروم وجدت ضعف هذه الملكة المذكورة وخاصة بعد الهزائم المتكررة أمام جيوش الرشيد. فقد كان الرشيد يراوده الأمل فى فتح القسطنطينية تلك المدينة التى بشر الرسول صلى الله عليه وسلم بفتحها. ومدح القائد وجنوده الذين يفتحونها بقوله (لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها. ولنعم الجيش ذلك الجيش)(٧٦) .ولم تستطع هذه الملكة ايرينى التخلص من الخطر الأسلامى إلا عن طريق دفع جزيه ضخمة للمسلمين- كما أسلفنا-وإزدادت الحالة الداخلية عند الروم سوءاً فقد ظهرت ثلاث قوى تتصارع على الملك، قوة الملكة، قوة ابنها نقفور، قوة ثالثة يقودها بعض قواد الجيش الساخطين(٧٧) .وانتهى هذا الصراع الداخلى بأن :الروم عزلوها عنهم وملكوا عليهم النقفور وسملوا عينيها(٧٨) .وكان الجيش البيزنطى (الرومى) يعتقد أن الضعف الذى ظهرت به الروم أمام جيوش المسلمين، راجع إلى أن الدولة تحكمها إمرأة(٧٩) .فلما تمكن نقفور من الملك واستوثقت له الروم بالطاعة أراد أن يعيد للروم مجدهم التليد، وأن يمحو أثر الهزائم مع المسلمين وأن ينهى هذا الصلح المشين مع هارون الرشيد، فكتب إلى الرشيد هذه الرسالة: من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أما بعد. فإن الملكة التى كانت قبلى أقامتك مقام الرخ، وأقامت نفسها مقام البيدق، فحملت إليك من أموالها ما كنت

(٧٦) رواه أحمد والحاكم

(٧٧) معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية: صـ١١٣، ١١٦. موسوعة التاريخ الإسلامى: أحمد شلبى جـ٣صـ٢٥٦.

(٧٨) البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٩٣.

(٧٩) موسوعة التاريخ الإسلامى: شلبى جـ٣ صـ٢٥٦.

حقيقاً بحمل أمثاله إليها وذلك من ضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابى هذا فاردد إلى ماحملته إليك من أموال وافتد نفسك به، وإلا فالسيف بيننا وبينك.

فلما قرأ هارون الرشيد كتابه أخذه الغضب الشديد حتى لم يتمكن أحد أن ينظر إليه، ولايستطيع مخاطبته، وأشفق عليه جلساؤه خوفاً منه، ثم استدعى بدواة وكتب على ظهر الكتاب:—

بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم. قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ماتراه دون ماتسمعه والسلام(٨٠). ثم شخص الرشيد من فوره فى نفس اليوم. وسار بجيش هائل حتى وصل إلى هرقلة وحاصرها وقذفها بالحجارة، وفتحها واصطفى ابنة ملكها، وغنم من الأموال شيئاً كثيراً، وخرب وأحرق، وعجزت كل قوى الروم أن توقف هذا الجيش الزاحف، فطلب نقفور منه الموادعه على خراج يؤديه إليه كل سنة، فأجابه الرشيد إلى ذلك بعدما أدبه فلما رجع الرشيد من غزوته........نقض نقفور العهد وخان الميثاق، وكان البرد قد اشتد جداً، فلم يقدر أحد أن يجيئ فيخبر الرشيد بذلك، واحتيل له بشاعر من أهل جنده فقال أبياتاً منها:

نقض الذى أعطيتــــه نقفور	فعليه دائــــرة البـــــوار تدور
أبشر أمير المؤمنيــــــن فإنــه	فتح أتاك بــــه الإلــه كبيـر
فتح يزيد علــى الفتــوح يؤمنا	بالنصر فيــه لواؤك المنصـــور

(٨٠) أخبار هذه المعارك وتفصيلها فى البداية والنهاية، الكامل فى التاريخ تاريخ الأمم والملوك (نفس الأجزاء)

فلما سمع الرشيد ذلك قال: أو قد فعل ذلك نقفور؟ وعلم أن الوزراء قد احتالوا له فى ذلك(٨١).

وفيها توفى الفضيل بن عياض أحد أئمة العباد الزهاد، وهو أحد العلماء والأولياء(٨٢). وله مع الرشيد مواقف فى الوعظ والإرشاد. وهاجت العصبية بالشام – حرب أهلية – فأرسل الرشيد محمد بن منصور بن زياد فأصلح بينهم(٨٣). وسكنت الفتنة على يديه.

سنة ١٨٨ من الهجرة: وفيها كان غزو ابراهيم بن جبريل الصائفة ودخوله أرض الروم... فخرج للقائه نقفور، فورد عليه من ورائه أمر صرفه عن لقائه فانصرف ومر بقوم من المسلمين فجرح ثلاث جراحات وانهزم وقتل من الروم – فيما ذكر – أربعون ألفاً وسبعمائة، وأخذ أربعة آلاف دابة، ورابط القاسم بن الرشيد فى هذه السنة بمرج دابق لقتال الروم(٨٤). وفيها......حج بالناس الرشيد، فجعل طريقه على المدينة، فأعطى أهلها أموالاً كثيرة، وهذه الحجة هى آخر حجة حجها الرشيد فى قول بعضهم(٨٥). وممن توفى فى هذه السنة: أبو اسحاق الفزارى إمام أهل الشام فى المغازى......وإبراهيم الموصلى...أحد الشعراء والمغنيين.

(٨١) تاريخ الخلفاء صـ٢٨٩.

(٨٢) البداية والنهاية جـ١٠ صـ١٩٨.

(٨٣) الكامل فى التاريخ جـ٥صـ١٢٠.

(٨٤) الأمم والملوك: الطبرى جـ٦صـ٥٠٤ بتصرف.

(٨٥) البداية والنهاية، الأمم والملوك، الكامل فى التاريخ.

سنة ١٨٩ من الهجرة: وفيها سار الرشيد من الحج إلى الرى وخرسان وكان سبب ذلك أن رجالاً من كبرائها ووجوهها كتبوا إلى الرشيد يشكون سوء سيرة واليها- على بن عيسى بن ماهان- وخبثه، وأنه ظلمهم وأخذ أموالهم واستخف برجالهم- فلما وصل الرشيد تقابل مع القواد على إختلاف مراتبهم، وتحقق بنفسه من الكلام الذى أثير حول الوالى فوجده غير صحيح فرضى عنه ورده إلى خرسان(٨٦). وحين سار الرشيد إلى الرى بعث حسيناً الخادم إلى طبرستان، فكتب له ثلاثة كتب أمان لملوك العجم، من ذلك كتاب لشروين أبى قارون والآخر لوندا هرمز والثالث لمرر زبان بن جستان صاحب الديلم فقدم عليه صاحب الديلم فوهب له وكساه ورده، وقدم عليه سعيد الحرشى بأربعمائة من طبرستان فأسلموا على يد الرشيد، وقدم وندا هرمز وقبل الأمان وضمن السمع والطاعة وأداء الخرج، وضمن على شروين مثل ذلك فقبل ذلك منه الرشيد وصرفه ووجه معه هرثمة- من كبار القادة- فأخذ ابنه وابن شروين رهينة، وقدم عليه الرى والى أرمينية فأهدى هدايا كثيرة. وقال أبو العتاهيه الشاعر فى ذلك:-

إن أمين اللــــه فــــى خلقه	حــن بــــه البر إلى مولــده
ليصلــــح الرى وأقطــــارها	ويمطر الخير بها من يـــده(٨٧)

ثم رجع الرشيد، وهو فى طريقه جاءه نواب تلك البلاد، وعزل وولى، ونظم ورتب. ثم عاد إلى بغداد، وأدركه عيد الأضحى قبل وصوله إليـها فضحى

---

(٨٦) البداية والنهاية، تاريخ الأمم والملوك: بتصرف.

(٨٧) تاريخ الأمم والملوك جـ٦ صـ٥٠٧ / الكامل فى التاريخ جـ٥ صـ١٢٠-١٢١.

وأنفق، ثم دخل بغداد فى أواخر ذى الحجة، ثم ارتحل من بغداد إلى الرقة ليسكنها وهو متأسف على بغداد وطيبها، وإنما مراده بمقامه بالرقة ردع المفسدين بها. وفى هذه السنة رابط القاسم ابن الرشيد بمرج دابق–شمال حلب– يحاصر الروم، وفادى الرشيد الأسارى من المسلمين الذين كانوا ببلاد الروم، حتى يقال إنه لم يترك بها أسيراً من المسلمين فقال فيه بعض الشعراء مروان ابن أبى حفصة:–

وفكت بك الأسرى التى شيدت لها محابس مافيها حميم يزورها
على حين أعيا المسلمين فكاكها وقالوا سجون المشركين قبورها

وممن مات فى هذه السنة الإمام الكسائى مؤدب هارون الرشيد.،والإمام محمد بن الحسن بن زفر المعروف بالشيبانى وكانا فى صحبة الرشيد فى الرى، وكان موتهما ودفنهما فى نواحى الرى فى يوم واحد فقال الرشيد: دفنت اليوم اللغة والفقه جميعاً(٨٨).

سنة ١٩٠ من الهجرة: وفيها خلع رافع بن نصر بن سيار نائب سمرقند الطاعة ودعا إلى نفسه، وتابعه أهل بلده وطائفة كثيرة من تلك الناحية، واستفحل أمره. فسار إليه نائب خرسان(على بن عيسى) فهزمه رافع وتفاقم الأمر به(٨٩).

وفيها سار الرشيد لغزو بلاد الروم لعشر بقين من رجب، وقد لبس على رأسه قلنسوه مكتوباً عليها غازحاج فقال أبو المعالى الكلابى:–

(٨٨) نفس المصدرين السابقين / البداية والنهاية جـ١٠ صـ٢٠١–٢٠٢.
(٨٩)المصدر السابق/تاريخ الأمم: الطبرى جـ٦ صـ٥١٠.

فمـن يطلب لقـاءك أو يـرده فبالحرميـن أو أقصـى الثغـــور
ففى أرض العـدو على طمـر وفـى أرض الترفـه فـوق كــور
وماحاز الثغـور ســواك خلـق من المتخلفين علـى الأمـــور(٩٠).

وفتح هرقلة وبث الجيوش والسرايا بأرض الروم. وكان فتحها فى شوال بعد حصار دام ثلاثين يوماً، وكان سبب مسيره إليها ماذكرناه سنة ١٨٧ من الهجرة من غدر نقفور ونقضه للعهد. ولم يبرحها حتى أصلاها ناراً حامية وأخذ العهد على نقفور بالجزية والخراج والطاعة، وفى ذلك يقول الشاعر أبو العتاهية:

ألا نادت هرقلة بالخـــراب من الملك الموفق للصـــواب
غـدا هارون يوعـــد بالمنايـا ويبـرق بالمذكـرة العضـاب
ورايات يحـل النصـر فيهـا تمر كأنها قطع السحـــاب(٩١).

ثم سار الرشيد إلى الطوانة فعسكر بها ثم رحل عنها وا ستخلف عليها، وبعث نقفور إليه بالخراج والجزيه عن رأسه وولى عهده وبطارقته وسائر أهله بلده خمسين ألف دينار، وكتب نقفور مع بطريقين من عظماء بطارقته كتاباً جاء فيه:

لعبد الله هارون أمير المؤمنين، من نقفور ملك الروم. سلام عليكم. أمابعد... أيها الملك إنى لى إليك حاجة لاتضرك فى دينك ولادنياك هينة يسيرة: أن تهب لابنى جارية من بنات أهل هرقلة كنت قد خطبتها على ابنى فإن رأيت أن تسعفنى بحاجتى فعلت والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

---

(٩٠) المرجع السابق.
(٩١) تاريخ الأمم: الطبرى– الكامل فى التاريخ. البداية والنهاية:بتصرف. تاريخ الخلفاءص–٢٨٩.

فأمر الرشيد بطلب الجارية فأحضرت وزينت وأجلست على سرير.. وسلمت الجارية إلى رسول نقفور ومعها الكثير من الطيب والأطعمة والأقمشة والأموال وغير ذلك، واشترط الرشيد عليه ألا يعمر هرقلة، وعلى أن يحمل ثلثمائة ألف دينار إليه – أى إلى الرشيد– فى كل سنة... ومن البلاد التى فتحها المسلمون فى بلاد الروم الصفصاف وملقونية(٩٢).

وفيها نقض أهل قبرس العهد فغزاهم معيوف بن يحيى فسبى أهلها وقتل منهم خلقاً كثيراً(٩٣).وفيها خرج أحد الخوارج يقال له: سيف بن بكير فوجه إليه الرشيد من قتله(٩٤).وفيها توفى يحيى بن خالد بن برمك– وقد سبق ذكره– فى الحبس فى شهر المحرم عن سبعين سنة

سنة ١٩١من الهجرة: وفيها خرج رجل بسواد العراق يقال له: ثروان بن سيف وهو من الخوارج– وجعل يتنقل فيها من بلد إلى بلد، فوجه إليه الرشيد أحد قواده طوق بن مالك فهزمه وجرح ثروان وقتل عامة أصحابه، وظن طوق أنه قتل ثروان فكتب بالفتح إلى الرشيدوهرب ثروان مجروحاً .ومن الخوارج الذين خرجوا على الدولة أيضاً: خارجى يقال له: أبو النداء خرج ببلاد الشام فوجه إليه الرشيد فى طلبه أحد القواد يحيى بن معاذ– وعقد له على الشام... ومنهم أيضاً الخارجى رافع بن نصر– سابق الذكر– فقد عظم أمره بسمرقند، وكتب أهل نسف إليه يسألونه أن يوجه إليه من يعينهم على قتل والى خراسان على بن عيسى وابنه عيسى فأرسل إليهم جمعاً وعاونهم الأتراك فقتلوا عيسى وحده ولم يعرضو لأصحابه وظل أمر رافع بن نصر (٩٥) .قائماً فى البلاد.

---

(٩٢) تاريخ الأمم والملوك جـ٦ صـ٢١٠ بتصرف.

(٩٣) البداية والنهاية جـ١٠ صـ٢٠٣.

(٩٤) الكامل فى التاريخ جـ٥صـ١٢٣.

(٩٥) الكامل– البداية – تاريخ الأمم– التاريخ الإسلامى بتصرف.

وفيها حدثت معارك كثيرة ومتفرقة بين المسلمين والروم. وكانت الحرب سجالاً بين الفريقين وأشهرها فى هذه السنة تلك الحرب التى خاضها القائد العباسى يزيد بن مخلد الهبيرى فى أرض الروم فى عشرة آلاف. وانتهت بقتله وخمسين رجلاً وسلم الباقون. كل ذلك والرشيد فى ميدان المعارك تارة يقاتل وأخرى يعزل ويولى أو يرسل الامدادات أو يرتب الثغور(٩٦). وفيها أمر الرشيد بهدم الكنائس بالثغور. وأخذ أهل الذمة بمخالفة هيئة المسلمين فى لباسهم وركوبهم. وسرى ذلك على أهل الذمة فى بغداد أيضا(٩٧). حتى يتميزوا عن المسلمين، وهذا أمر يقره الشرع الإسلامى. وفيها أمر الرشيد ببناء طرسوس، فسار إليها جنداً من أهل خرسان، وألفاً من أهل المصيصة، وألفاً من أهل أنطاكية، وتم بناؤها سنة اثنتين وتسعين ومائة وبنى مسجدها(٩٨) .حتى تكون دفاعاً عن الدولة من البحر.

وفيها سخط الرشيد على واليه وقائده على خراسان على بن عيسى سالف الذكر- وقيل فى سبب ذلك أنه: أذل الأعالى من أهل خراسان وأشرافهم فرفعوا ذلك إلى الرشيد وقيل: أموال كثيرة جمعها من الناس وجعلها فى خزائنه الخاصة وذكر الطبرى أنها لما حملت إلى الرشيد أخذت على ألف وخمسمائة بعير. وقيل: إضطراب ثغور المشرق وتمكن الخوارج منها وخاصة رافع بن نصر وقيل: مخالفته عهد الرشيد ونبذه وراء ظهره والأرجح اضطراب ثغور المشرق.

---

(٩٦) نفس المصادر السابقة.

(٩٧) تاريخ الأمم والملوك جـ٦ صـ٥١٢/ الكامل فى التاريخ جـ٥صـ١٢٦.

(٩٨) الكامل فى التاريخ جـ٥صـ١٢٧ بتصرف.

على كل حال أرسل الرشيد قائده هرثمة بن أعين وأعطاه كتاباً بخط يده لعلى ابن عيسى فيه: أنه قد عزله وولى هرثمة مكانه، وكتاباً آخر لهرثمة يأمره فيه: بتقوى الله والحفاظ على أموال المسلمين وحقوقهم وإتباع القرآن والسنة. ومضى هرثمة في اليوم السادس من اليوم الذى كتب له عهده الرشيد وشيعه الرشيد وأوصاه بما يحتاج إليه(٩٩).

وفيها ولى الرشيد حميد بن معيوف سواحل الشام إلى مصر ودخل جزيزة قبرص فسبى أهلها وحملهم حتى باعهم... فبلغ ثمن الأسقف ألفى دينار، باعهم أبو البحترى القاضى(١٠٠).وفى هذه السنة المذكوره توفى كثيرون من العلماء والزهاد منهم: محمد بن الحسين المصيصى الذى قال :لم أتكلم بكلمة أحتاج إلى الإعتذار منها منذ خمسين سنة(١٠١).

سنة ١٩٢من الهجرة: وفيها دخل هرثمة بن أعين إلى خرسان نائباً عليها، وقبض على على بن عيسى فأخذ أمواله وحواصله وأركبه على بعير وجهه إلى ذنبه..........وكتب إلى الرشيد بذلك فشكره على ذلك، ثم أرسله إلى الرشيد بعد ذلك فحبس بداره ببغداد(١٠٢). وكانت خزائنه التى وردت على الرشيد قد حملت على ألف وخمسمائة بعير(١٠٣)

---

(٩٩) تاريخ الأمم والملوك: جـ٦ صـ٥١٢، ٥١٥/ الكامل فى التاريخ جـ٥صـ١٢٦.

(١٠٠، ١٠١) البداية والنهاية جـ١٠ صـ٢٠٦.

(١٠٢) المرجع السابق ، جـ١٠ ، ص ٢٠٦

(١٠٣) تاريخ الأمم : جـ ٦، ص ٥١٢.

وفيها ولى الرشيد ثابت بن نصر بن مالك نيابة الثغور فدخل بلاد الروم وفتح مطمورة، ثم كان الصلح على يديه أيضاً وكان الفداء بين الفريقين (١٠٤). وكان عدد الأسرى من المسلمين ألفين وخمسمائة أسير (١٠٥).

وفيها قدم يحيى بن معاذ الذى عقد له الرشيد على الشام لحرب أبو النداء الخارجى على الرشيد فقتله، وفى نفس السنة تحرك ثروان بن سيف سابق الذكر - فى بلاد العراق وقتل عامل الخليفة فى البصرة (١٠٦). وفى نفس السنة أيضا خرجت فرقة ضالة منحرفة عن الإسلام تسمى الخرمية فى بلاد أذربيجان فوجه الرشيد إليهم عبد الله بن مالك بن الهيثم الخزاعى فى عشرة آلاف فارس فقتل منهم خلقاً. وأسر وسبى ذراريهم ، وقدم بهم بغداد فأمر الرشيد بقتل الرجال وبيع الذريه(١٠٧). وفى ربيع الأول من نفس السنة رتب الرشيد أموره الداخليه وتحرك إلى خراسان لغزو رافع بن نصر سابق الذكر- الذى كان قد خلع الطاعة واستحوذ على بلاد كثيرة من بلاد سمرقند وغيرها، وكان مسيره إليها فى شعبان بعدما استخلف على بغداد ابنه محمد الأمين(١٠٨).

سنة ١٩٣من الهجرة: وفيها فى المحرم توفى الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك فى السجن، وكان قد ولاه الرشيد أعمالاً كباراً، منها نيابة خراسان وغيرها. ولما قتل الرشيد البرامكة وحبسهم على-ماذكرنا- جلد الفضل هذا مائة سوط وخلده فى الحبس حتى مات فى هذه السنة، قبل الرشيد بشهور

---

(١٠٤) تاريخ الأمم والملوك: جـ٦ صـ٥٢٣/ البداية والنهاية:جـ١٠ صـ٢٠٦.
(١٠٥) الكامل فى التاريخ: جـ٥ صـ١٢٨.
(١٠٦) البداية والنهاية: جـ١٠ صـ٢٠٧.
(١٠٧) المصدر السابق جـ١٠ صـ٢٠٧.
(١٠٨) المصدر السابق جـ١٠ صـ٢٠٧.

خمسة فى الرقة، وصلى عليه بالقصر الذى مات فيه أصحابه، ثم أخرجت جنازته فصلى عليها الناس، ودفن هناك وله خمس وأربعون سنة (١٠٩).

وفى صفر من نفس السنة وافى الرشيد جرجان وانتهت إليه خزائن على بن عيسى تحمل على ألف وخمسمائة بعير- كما تقدم- ثم تحول منها إلى طوس وهو عليل وقد ثقل عليه المرض. وكانت المواقع والحرب دائرة بين هرثمة ورافع فى بلاد الشرق وكان النصر حليف هرثمة نائب الخليفة وافتتح بخارى وأسر أخا رافع. ويدعى بشير وبعثه إلى الرشيد وهو بطوس...فلما وقف بين يديه شرع يترفق له فلم يقبل منه، بل قال: والله لو لم يبق من عمرى إلا أن أحرك شفتى بقتلك لقتلتك. ثم عاد بقصاب-جزار- وقال له:لا تشحذ مداك اتركها على حالها وفصل هذا الفاسق وعجل لايحضرن أجلى وعضوان من أعضائه فى جسمه ففصله حتى جعله أشلاء فقال: عد أعضاءه فعددت له أعضاءه فإذا هى أربعة عشر عضواً فرفع يده إلى السماء فقال: اللهم كما مكنتنى من ثأرك من عدوك فبلغت فيه رضاك فمكنى من أخيه، ثم أغمى عليه وتفرق من حضره(١١٠).

وفى ليلة السبت مستهل جمادى الآخر من نفس السنة مات هارون الرشيد رضى الله عنه وقيل فى وفاته أنه: كان قد رأى وهو بالكوفة رؤيا أفزعته.....فدخل عليه جبريل بن بختيشوع طبيبه فقال: مالك يا أمير المؤمنين؟ فقال: رؤيا رأيتها فى ليلتى هذه وقد أفزعتنى وملأت صدرى وأفرحت قلبى... فطلب منه سماعها فقال الرشيد:

---

(١٠٩) تاريخ الأمم والملوك: جـ٦صـ٢٢٥.

(١١٠) تاريخ الأمم والملوك: جـ٦صـ٢٢٥، ٢٢٦.

رأيت كأني جالس على سريرى هذا إذ بدت من تحتى ذراع أعرفها وكف أعرفها لا أفهم إسم صاحبها، وفى الكف تربة حمراء فقال لى قائل أسمعه ولا أرى شخصه: هذه التربة التى تدفن فيها. فقلت: وأين هذه التربة؟ قال بطوس. وغابت اليد وانقطع الكلام وانتبهت.

فهون عليه جبريل أمرها وقال: هذه من أضغاث الأحلام من حديث النفس، ياسيدى والله هذه رؤيا بعيدة ملتبسة أحسبك أخذت مضجعك ففكرت فى خراسان وحروبها. وماقد ورد عليك من انتقاص بعضها. قال الرشيد: قد كان ذلك. قال جبريل: فلذلك الفكر خالطك فى منامك ماخالطك فولد هذه الرؤيا فلا تحفل بها جعلنى الله فداك. وطلب منه أن يتناسى هذه الرؤيا حتى لا تزيد عليه علته. فلما سار الرشيد بعد ذلك إلى خراسان ومر بطوس ودخلها. على ماذكرنا– ثقل عليه المرض، فكان يمرض فى بستان فى القصر الذى نزل فيه. فقال لجبريل: ويحك أما تذكر ماقصصته عليك من الرؤيا؟ فقال: بلى ثم رفع رأسه إلى مسرور خادمه فقال له: جئنى من تربة هذا البستان. فمضى مسرور فأتى بالتربة فى كفه حاسراً عن ذراعه فلما نظر إليه الرشيد قال: هذه والله الذراع التى رأيتها فى منامى. وهذه والله الكف بعينها. وهذه والله التربة الحمراء..... وأقبل على البكاء والنحيب....... وكان الرشيد قد أمرهم قبل وفاته أن يحفروا له قبراً فحفروه له، وأمر أن يحمل إليه فحملوه، فجعل ينظر إليه ويبكى وهو على شغيره ويقول: إلى هنا تصير يا ابن آدم. وأمر أن يوسع عند صدره وأن يمد من عند رجليه. ثم جعل يقول:

ما أغنى عنى ماليه . هلك عنى سلطانية ويبكى . ولما حضرته الوفاه اختبى (التف) بملاءة وجلس يقاسى سكرات الموت فقال له بعض من حضره: لو

اضطجعت كان أهون عليك. فضحك ثم قال: أما سمعت قول الشاعر:

وإنى مـن قوم كرام يزيدهم شماساً وصبراً شدة الحدثـان.

ثم دعا بأكفان فاختار منها ما أراد، وأنفق أموالاً كثيرة وأرضاً. وقيل: إنه لما احتضر قال: اللهم انفعنا بالإحسان ، واغفر لنا الإساءة، يامن لايموت ارحم من يموت . وقال

إن الطبيب بطبـــه ودوائــه لايستطيع دفاع محذور جـرى.

ماللطبيب يمـــوت بالداء الذى قد كان يشفى مثله فيما مضى.

ثم مات رضى الله عنه بطوس– المذكورة – ليلة السبت لأربع خلون من جمادى الآخرة. .ودفن بقرية يقال لها سناباذ وصلى عليه ابنه صالح... وكان عمر الرشيد عندها خمساً وأربعين سنه، وخلافته دامت ثلاثاً وعشرين سنة، وشهرين، وستة عشر يوماً.

وسبب وفاته: مرضه بالدم، وقيل بالسل، وجبريل الطبيب يكتم مابه من العلة، فأمر الرشيد رجلاً أن يأخذ ماءه فى قارورة ويذهب به إلى جبريل فيريه إياه. ولا يذكر له بول من هو، فإن سأله قال: هو بول مريض عندنا. فلما رآه جبريل قال لرجل عنده: هذا مثل ماء ذلك الرجل. ففهم صاحب القارورة من عنى به، فقال له : بالله عليك أخبرنى عن حال صاحب هذا الماء. فإن لى عليه مالاً، فإن كان به رجاء وإلا أخذت مالى منه. فقال: اذهب فتخلص منه – أى خذه– فإنه لايعيش إلا أياماً فلما جاء وأخبر الرشيد بعث إلى جبريل فتغيب حتى مات الرشيد....وقد قال الرشيد وهو فى هذه الحالة:

انـى بطوس مقيـــــم	مالى بطوس حميــــــم
أرجو الهى لمـابــــى	فإنه بــى رحيـــــم
لقد أتى بـى طوســـاً	قضـــاؤه المحتـــــوم
ولـيس إلارضائــــى	والصبـــر والتسليـــــم

وقال بعضهم: قرأت على خيام الرشيد بسناباذ والناس منصرفون من طوس من بعد موته:

منازل العسكر معمـــورة	والمنزل الأعظم مهجـــــور
خليفة الله بدار البلــــى	تسعى على أجداثه المـــــور
أقبلت العير تباهــــى بـه	وانصرفت تندبه العيـــــر

وقد رثاه أبو الشيص فقـال:

غربت فى الشــرق شمس	فلهـــا العينان تدمــــع
مارأينـــا قــط شمســاً	غربت مـــن حيث تطلـع

وقد رثاه الشعراء بقصائد . قال ابن الجوزى: وقد خلف الرشيد من الميراث مالم يخلفه أحد من الخلفاء، خلف من الجواهر والأساس والأمتعة سوى الضياع والدور ماقيمته مائة ألف ألف دينار، خمسة وثلاثون ألف دينار، وكان فى بيت المال سبعمائة ألف ألف ونيف.

وفى الرابع عشر من شهر جمادى الآخر بايع المسلمون محمد الأمين بن الرشيد بالخلافة(١١١).

(١١١) البداية والنهاية، تاريخ الأمم والملوك، مروج الذهب، الكامل فى التاريخ، بتصرف.

صورة الدولة فى عهد الرشيد:-

الدولة فى عهد الرشيد كانت قوية مرهوبة الجانب أقوى ماتكون، شاسعة الأرجاء.

أقوال المؤرخين:

- كانت دولة الرشيد من أحسن الدول وأكثرها وقاراً وورونقاً وخيراً، وأوسعها رقعة مملكة، فقد جبى الرشيد معظم الدنيا، وكان أحد عماله صاحب مصر، ولم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقضاة والكتاب والندماء ما اجتمع على باب الرشيد، وكان يصل كل واحد منهم أجزل صلة، ويرفعه إلى أعلى درجة، وكان أديباً شاعراً، راوية للأخبار والآثار والأشعار، صحيح الذوق مهيباً عند الخاصة والعامة(١١٢).

- وفى عهده تقرر أن يلتزم بيت المال بالإنفاق على المسجونين بأن يصرف لكل واحد منهم ما يكفى لطعامه، وأن تقدم لهم كسوة للصيف وكسوة للشتاء(١١٣).

- وكانت خلافته فى غاية من العظمة والفخامة، حتى يحكى أنه كان يستلقى على قفاه وينظر إلى السحابة الحاملة للمطر ويقول: إذهبى حيث شئت يأتينى خراجك(١١٤).

---

(١١٢) ابن طباطا: الفخرى صـ١٧١، ١٧٢ نقلاً عن د.أحمد شلبى: الموسوعة جـ٣صـ١٤٦.

(١١٣) الخراج لأبى يوسف صـ٨٨ نقلاً عن المصدر السابق.

(١١٤) مآثر الإنافة جـ١١ صـ١٩٤.

- لقد ضمت دولة الرشيد أعلام العلم الذين تفخر بهم البشرية جمعاء مثل : جابر بن حيان الكوفى أو أبا الكمياء قيل عنه إن كل الباحثين فى هذا العلم من بعده، كانوا عالة عليه نقلاً وتعليقاً، وأنه أول واضع للقواعد العلمية لهذا العلم. والحسن بن الهيثم اكبر عالم بصريات على مر العصور واياد الله البنانى العالم الفلكى الشهير فى الشرق والغرب والخوارزمى عالم الرياضيات الشهير وأبو حنيفة الدينورى عالم النبات والمصنف العظيم. وغير هؤلاء من العلماء الكثيرين الذين عاشوا فى كنف الرشيد فأغدق عليهم الأموال الطائلة حتى يتفرغوا للعلم ولا يعيشون عالة، وبنى لهم دار الحكمة ذلك المعهد الذى كان مناراً للثقافة والفكر فى العالم آنذاك، وجعل الرشيد راتب الناسخ فيها ألفى دينار فى الشهر الواحد.
- وفى عهده تقدمت الصناعات مثل: الساعات الدقاقه، أدوات الملاحة، تقطير الأدوية، العمليات الجراحية الدقيقة بأدوات تشريح راقية، وأنشئت البيمارستانات – المستشفيات– العديدة فى كل المدن الكبرى وفى كل الأقاليم.
- وكانت الأموال فى عهده وفيرة عمت الدولة بأكملها فعاش الناس فى رخاء ونعمة كبيرة(١١٥) .حيث كان المحمول إلى بيت المال فى أيام الرشيد ٧٥٠٠قنطار فى كل سنة، وذلك يعادل خمسة وسبعين مليوناً من الجنيهات غير الضريبة العينية التى كانت تؤخذ مما تنتجه الأرض من الحبوب، وإيراد كهذا فى تلك الأيام كان أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة، وأصبح عهد الرشيد بهذا عهد شباب الدولة، وهو يعتبر فى الذروة من عهود بنى العباس(١١٦) .

---

(١١٥) هارون الرشيد: شوقى خليل صـ١٧٠ (تلخيص).
(١١٦) هارون الرشيد: صـ١٧١/الموسوعة. د/شلبى جـ٣صـ١٤٨.
* تقول إحدى الروايات أن دخل الدولة فى عهده ٤١١مليون دينار من الذهب فى كل عام.

ومن الطرائف أنه كان فى أوربا إمبراطور شهير يسمى شارلمان،وقد أراد كسب مودة الدولة الإسلامية وهارون الرشيد، فأرسل إلى هارون الرشيد بعض الهدايا تقرباً إليه.وقد رد هارون إليه هديه أعظم من هديته، وسنفصلها هنا لأنها تدل على مابلغ إليه المسلمون فى عهده من تقدم فى الصناعات، وماكانت عليه أوربا من جهل.

كانت الهدية تتكون من أشياء ثمينة كالجواهر، وفيل أبيض، وساعة كبيرة من صنع صناع بغداد المهرة، وكانت هذه الساعة تحتوى على اثنتى عشرة نافذة صغيرة، وعندما تدق الساعة الثانية عشرة كان يخرج من كل نافذة فارس يحمل سيفاً، وبعد انتهاء دقاتها الاثنتى عشرة تنغلق تلك النوافذ على من فيها من الفرسان.

وظن شارلمان وجلساؤه عندما رأوا حركة العقارب فى الساعة ودقاتها بأن الجن تحركها، فحطموها حتى لا تتحرك(١١٧).

- أما عن القانون الذى كانت تسير عليه الدولة فى عهد الرشيد فهو قانون الإسلام وسنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فقد كانت الدولة إسلامية، على الإسلام ترتكز وإلى الشريعة تحتكم.

---

(١١٧) كتاب التاريخ للصف الثالث بالمعاهد العلمية صـ٣٣ عبد الملك الشيبانى: كتاب تاريخ الأمم الاسلامية للخضرى فى ترجمة هارون الرشيد.

بغداد في عهد الرشيد:

بغداد كما هو معروف كانت العاصمة للدولة الإسلامية، وبالتالى تنعكس عليها كل مظاهر الحضارة والتقدم فى كل الميادين بصورة واضحة وقد شهدت بغداد ازدهاراً فى الحياة الاجتماعية، ورخاءً فى العيش والسكن ونمواً فى الصناعات والحرف، وكانت مهبطاً للقوافل التجارية من الشرق والغرب، وموطناً للعلم والعلماء الذين توافدوا عليها من أنحاء المعمورة.

ولقد أثرت هذه الحياة التى جاءها الرزق الوفير على بعض المسلمين فعاشوا حياة كلها بذخ وترف. وهذه بعض الأرقام التى توضح لنا مقدار ما شهدته بغداد من الرخاء:

فكان فى بغداد عشرون ألف مسجد، وفى نهرها دجلة ثلاثون ألف زورق، وفيها ستة آلاف حمام. وذات مرة قدم وفد من ملك الروم فأقيم استعراض كبير للوفد حتى يروا بأعينهم قوة الدولة الإسلامية، ومما شاهده الوفد طابوراً طويلاً من الجند يصل عددهم إلى مائة وثمانين ألفاً، عليهم ثياب موحدة، وجميعهم مسربلون بالحديد، وبلغ امتداد بغداد حداً كبيراً حتى كانت تبدو وكأنها مدن متلاصقه تصل إلى الأربعين، وانتشرت فيها البساتين والحدائق والأنهار الجارية. وكانت مركزاً صناعياً هاماً، ومن الصناعات التى قامت فيها صناعة الزجاج والورق، والأنواع المختلفة من النسيج(١١٨). ومن الجدير بالذكر أن الذى بنى بغداد: أبو جعفر المنصور جد هارون الرشيد. وكانت بغداد فى العصر العباسى الأول من أزهى المدن وأعرقها وروى فى ذكر محاسنها الكثير من ذلك:

---

(١١٨) كتاب التاريخ بالعاهد العلمية للصف الثالث. صـ٣٢ عبد الملك الشيبانى

قال الشافعى: مادخلت بلداً قط إلا عددته سفراً، إلا بغداد فإنى حين دخلتها عددتها وطناً ، وقال بعضهم : مارأيت أعقل فى طلب الحديث من أهل بغداد، ولا أحسن دعة منهم. وقال أبو معاوية– عالم– بغداد دار دنيا وآخرة وقال بعضهم: من محاسن بغداد يوم الجمعة ببغداد، وصلاة التراويح بمكة، ويوم العيد بطرسوس. قال الخطيب البغدادى: من شهد يوم الجمعة بمدينة السلام– بغداد– عظم الله فى قلبه محل الإسلام، لأن مشايخنا كانوا يقولون يوم الجمعة ببغداد كيوم العيد فى غيرها من البلاد[١١٩].

(١١٩) البداية والنهاية: جـ١٠صـ١٠٢.

صفاته وأخلاقه ومآثره

كان الرشيد أبيض اللون. جميل الوجه . طويلاً سميناً، قد وخطه الشيب سمحاً شجاعاً كثير الحج والغزو والصدقة والصلاة...وكان محباً للعلماء مقرباً لهم[1]. كان يميل إلى الأدب.ويقرب الأدباء ويجزل لهم العطاء، يعدل في حكمه، يقضى بالحق ولو على نفسه، يضرب بشدة وحزم، لم يرق دماً إلاإذا أدانت الأدلة صاحبه، والمتصفح لتاريخه، يلمس بوضوح أنه ما أمر بقتل إنسان إلا في حالات ثلاثة: زنديق يعلن كفره ويجاهر به، مسلم تبيح الشريعة قتله، ثائر يهدف قلب نظام الحكم ويشيع الفوضى والذعر والقتل بين الناس. وهذه بعض مآثره وأخلاقه رضى الله عنه:

إيمانه وخشوعه وإتصاله بالله:

- كان الرشيد يصلى فى كل يوم مائة ركعة تطوعاً إلى أن فارق الدنيا، إلا أن تعرض له علة. وكان نقش خاتمه لا إله إلا الله [2].هذا باتفاق المؤرخين جميعهم.

- كان مع الرشيد ابن أبى مريم المدينى وكان مضحاكاً فكهاً يعرف أخبار أهل الحجاز وألقاب الأشراف.. فكان الرشيد لا يصبر عنه وأسكنه فى قصره. نبهه الرشيد يوماً إلى صلاة الصبح فقام فتوضأ ثم أدرك الرشيد وهو يقرأ «ومالى لاأعبد الذى فطرنى» فقال ابن أبى مريم: لا أدرى والله فضحك الرشيد وقطع الصلاة. ثم أقبل عليه وهو كالمغضب فقال له: يا ابن أبى مريم فى الصلاة أيضا؟ قال: ياهذا وما صنعت؟ قال: قطعت على صلاتى. قال والله

---

(١) مآثر الإنافة جـ١١ صـ١٩٢.

(٢) البداية والنهاية: جـ١٠صـ٢١٤.

مافعلت، إنما سمعت منك كلاماً غمنى حين قلت: «ومالى لا أعبد الذى فطرنى» فقلت: لأدرى والله. فعاد فضحك وقال: إياك والقرآن والدين ولك ماشئت بعدهما(٣).

— دخل عليه ابن السماك يوماً فاستسقى الرشيد فأتى بقلة فيها ماء مبرد فقال: لابن السماك. عظنى فقال: ياأمير المؤمنين. بكم كنت مشترياً هذه الشربة لومنعتها؟ فقال: بنصف ملكى. فقال: اشرب هنيئاً. فلما شرب قال: أرأيت لو منعت خروجها من بدنك بكم كنت تشترى ذلك؟ قال: بنصف ملكى الآخر. فقال: إن ملكاً قيمة نصفه شربة ماء. وقيمة نصفه الآخر بولة، لخليق أن لايتنافس فيه. فبكى هارون، وقال له يوماً: إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتبعث منه وحدك، فاحذر المقام بين يدى الله عز وجل، والوقوف بين الجنة والنار، حين يؤخذ بالكظم وتزل القدم، ويقع الندم فلاتوبة تقبل، ولاعثرة تقال، ولايقبل فداء بمال. فجعل الرشيد يبكى حتى علا صوته فقال يحيى بن خالد له : يا ابن السماك! لقد شققت على أمير المؤمنين الليلة. فقام فخرج من عنده وهو يبكى(٤).

— وعظه الفضيل بن عياض ليلة بمكة فى كلام كثير قال فيه: ياصبيح الوجه. إنك مسئول عن هؤلاء كلهم، وقد قال تعالى: «وتقطعت بهم الأسباب» قال حدثنا ليث عن مجاهد: الوصلات التى كانت بينهم فى الدنيا. فبكى الرشيد حتى جعل يشهق.

---

(٣) البداية والنهاية، الكامل فى التاريخ، تاريخ الأمم والملوك.

(٤) البداية والنهاية: جـ١٠صـ٢١٥، ٢١٧.

– وقال الفضيل: استدعانى الرشيد يوماً وقد زخرف منازله وأكثر الطعام والشراب واللذات فيها، ثم استدعى أبو العتاهية فقال له: صف لنا مانحن فيه من العيش والنعيم فقال:

عش ما بدا لك سالمـــــاً … فى ظل شاهقة القصـــور
تسعى عليك بما اشتهيت … لدى الرواح إلى البكـــور
فإذا النفـــوس تقعقعت … عن ضيق حشرجة الصدور
فهنـــاك تعلم موقنـــاً … ماكنت إلافى غـــرور

قال: فبكى الرشيد بكاءً كثيراً شديداً. فقال له الفضل بن يحيى: دعاك أمير المؤمنين تسره فأحزنته؟ فقال له الرشيد: دعه فانه رآنا فى عمى فكره أن يزيدنا عمى. و فى مرة أخرى قال له الرشيد: عظنى بأبيات من الشعر وأوجز فقال أبو العتاهية:

لاتأمن الموت فى طـرف ولانفـس … ولوتمتعت بالحجـاب والحـــرس.
واعلم بأن سهام المــوت صائبــة … لكل مدرع منهـــا ومتـــرس.
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكـــها … إن السفينة لا تجرى علـى اليبس.

فخر الرشيد مغشياً عليه(٥).

– وعظه ابن السماك يوماً فقال له: إن الله لم يجعل أحداً فوقك فاجتهد أن لايكون فيهم أحد أطوع إلى الله منك فقال: لئن كنت أقصرت فى الكلام لقد أبلغت فى الموعظة. وقال له الفضيل ابن عياض: إن الله لم يجعل أحداً

(٥) البداية والنهاية: جـ١٠ صـ٢١٧، ٢١٨.

من هؤلاء فوقك فى الدنيا، فاجهد نفسك أن لايكون أحداً منهم فوقك فى الآخرة، فاكدح لنفسك وأعملها فى طاعة ربك[٦].

– دخل اليه ابن السماك يوماً فذكره بالله والآخرة. ووعظه حتى بكى هارون بكاءً شديداً، فقال ابن السماك: لتواضعك فى شرفك أحب إلينا من شرفك[٧].

– اجتمع الفضيل بن عياض مع الرشيد بمكة. فقال له الرشيد: إنما دعوناك لتحدثنا بشئ وتعظنا، قال: فأقبلت عليه وقلت: ياحسن الخلق والوجه حساب الخلق كلهم عليك قال: فبكى الرشيد وشهق، فرددت عليه حتى جاء الخدام فحملونى وأخرجونى[٨].

– وعظه ابن السماك مرة فقال: ياأمير المؤمنين، إن لك بين يدى الله تعالى مقاماً وإن لك من مقامك منصرفاً، فانظر إلى أين منصرفك، إلى الجنة أو إلى النار! فبكى الرشيد حتى قال بعض خواصه: ارفق بأمير المؤمنين، فقال: دعه فليمت حتى يقال: خليفة الله مات من مخافة الله تعالى[٩].

– استدعى الرشيد ابن السماك يوماً. فلما حضر قال له الفضل بن الربيع ياأمير المؤمنين قد أحضرت ابن السماك كما أمرتنى قال: أدخله فدخل، فقال له: عظنى. قال: ياأمير المؤمنين اتق الله وحده لاشريك له. واعلم أنك واقف غداً

---

(٦) البداية والنهاية: جـ١٠صـ٢١٥.

(٧) النجوم الزاهرة جـ٢صـ١١.

(٨) النجوم الزاهرة جـ٢صـ١٢٣.

(٩) النجوم الزاهرة جـ٢صـ١١١.

بين يدى الله ربك ثم مصروف إلى إحدى منزلتين لاثالثة لهما جنة أو نار. فبكى هارون حتى اخضلت لحيته فأقبل الفضل على ابن السماك فقال: سبحان الله وهل يتخالج أحداً شك فى أن أمير المومنين مصروف إلى الجنة إن شاء الله. لقيامه بحق الله وعدله فى عباده وفضله. ؟ فلم يحفل بذلك ابن السماك من قوله ولم يلتفت إليه وأقبل على هارون الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين: إن هذا– يعنى الفضل بن الربيع– ليس والله معك ولا عندك فى ذلك اليوم– يعنى يوم القيامة– فاتق الله وانظر لنفسك– فبكى هارون الرشيد حتى أشفق عليه من حوله ولم ينطق الفضل ابن الربيع بكلمة واحدة(١٠).

– قال ابن الجوزى: قال الرشيد لشيبان : عظنى قال: لأن تصحب من يخوفك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب من يؤمنك حتى يدركك الخوف، فقال الرشيد: فسرلى هذا. قال: من يقول لك: أنت مسؤل عن الرعية فاتق الله أنصح لك ممن يقول: أنتم أهل بيت مغفور لكم، وأنتم قرابة نبيكم عليه الصلاة والسلام. فبكى الرشيد حتى رحمه من حوله(١١).

– قال الفضل بن الربيع الحاجب: حججت مع الرشيد فمررنا بالكوفة فإذا بهلول المجنون يهذى، فقلت: اسكت فقد أقبل أمير المؤمنين. فسكت. فلما حاذاه الهودج قال: ياأمير المؤمنين حدثنى أيمن بن نائل ثنا قدامه بن عبد الله العامرى قال:رأيت النبى صلى الله عليه وسلم بمنى على جمل وتحته رحل رث، ولم يكن ثم طرد ولاضرب ولاإليك إليك. قال الفضل بن الربيع فقلت: يا أمير المؤمنين إنه بهلول، فقال: قد عرفته، قل يابهلول فقال:

---

(١٠) تاريخ الأمم والملوك جـ٦صـ٥٣٨ بتصرف.

(١١) تاريخ الخلفاء صـ٢٩٤.

هب أن قد ملكت الأرض طراً	ودان لك العباد فكـــــان ماذا
أليس غداً مصيرك جوف قبـــر	ويحثو عليك التراب هذا ثم هذا

— قال: أجدت يابهلول، أفغيره؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين من رزقه الله مالاً وجمالاً فعف فى جماله، وواسى فى ماله، كتب فى ديوان الله من الأبرار. قال: فظن أنه يريد شيئاً فقال: إنا أمرنا بقضاء دينك. فقال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، لايقضى دين بدين، اردد الحق إلى أهله واقضى دين نفسك من نفسك. قال: إنا أمرنا أن يجرى عليك رزق تقتات به. قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين فإنه سبحانه لايعطيك وينسانى، وها أنا قد عشت عمراً لم تجر على رزقاً، فانصرف لا حاجة لى فى جرايتك. قال: هذه ألف دينار خذها. فقال: أرددها على أصحابها فهو خير لك، وما أصنع بها؟ انصرف عنى فقد آذيتنى. قال: فانصرف عنه الرشيد وقد تصاغرت عنده الدنيا(١٢).

— حج الرشيد مرة فدخل الكعبة وقام على أصابعه وقال: يامن يملك حوائج السائلين. ويعلم ضمير الصامتين. فإن لكل مسألة منك رداً حاضراً وجواباً عتيداً، ولكل صامت منك علم محيط ناطق بمواعيدك الصادقة، وأياديك الفاضلة، ورحمتك الواسعة، صل على محمد وعلى آل محمد واغفر لنا ذنوبنا. وكفر عنا سيئاتنا، يامن لاتضره الذنوب، ولاتخفى عليه العيوب، ولاتنقصه مغفرة الخطايا، يامن كبس الأرض على الماء، وسد الهواء بالسماء، واختار لنفسه الأسماء صلى على محمد وعلى آل محمد، وخرلى فى جميع أمرى، يامن خشعت له الأصوات بألوان اللغات يسألونك الحاجات، إن

(١٢) البداية والنهاية: جـ١٠ صـ٢٠٠.

من حاجتى إليك أن تغفر لى ذنوبى، إذا توفيتنى وصيرت فى لحدى. وتفرق عنى أهلى وولدى، اللهم لك الحمد حمداً يفضل على كل حمد كفضلك على جميع الخلق. اللهم صلى على محمد صلاة تكون له رضى. وصل على محمد صلاة تكون له حرزاً. وأجزه عنا الجزاء الأوفى. اللهم أحينا سعداء وتوفنا شهداء واجعلنا شهداء مرزوقين. ولا تجعلنا أشقياء محرومين(١٣).

حبه للعلم والعلماء وتقديره لحكمهم:

- قال القاضى أبو يوسف: وليت هذا الحكم وأرجو الله أن لا يسألنى عن جور ولا ميل إلى أحد، إلا يوماً واحداً جاءنى رجل فذكر أن له بستاناً وأنه فى يد أمير المؤمنين، فدخلت إلى أمير المؤمنين فأعلمته فقال: البستان لى اشتراه لى المهدى. فقلت إن رأى أمير المؤمنين أن يحضره لأسمع دعواه، فأحضره فادعى بالبستان فقلت: ماتقول يا أمير المؤمنين؟ فقال: هو بستانى. فقلت للرجل: قد سمعت ما أجاب. فقال الرجل: يحلف، فقلت: أتحلف ياأمير المؤمنين؟ فقال: لا فقلت: سأعرض عليك اليمين ثلاثاً فان حلفت وإلاحكمت عليك يا أمير المؤمنين. فعرضتها عليه ثلاثاً فامتنع فحكمت بالبستان للمدعى. فكنت فى أثناء الخصومه أو د أن ينفصل ولم يمكنى أن أجلس الرجل مع الخليفه. وبعث القاضى أبو يوسف فى تسليم البستان إلى الرجل(١٤). فانظر رحمك الله كيف يجلس الخليفه هارون الرشيد للمحاكمة ويؤخذ منه حق الرعية.

(١٣) تاريخ الأمم والملوك جـ٦ صـ٥٣٦/ الكامل فى التاريخ جـ٥ صـ١٣٣.
(١٤) البداية والنهاية: جـ١٠ صـ١٨١.

- قال الأحمر النحوى: بعث إلىّ الرشيد لتأديب ولده محمد الأمين. فلما دخلت قال: ياأحمر، إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه. وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطه، وطاعتك عليه واجبه. فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن، وعرفه الآثار(التاريخ) وروه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره مواقع الكلام وبدأه، وامنعه الضحك إلافى أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه، ولاتمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده إياها من غير أن تخرق به فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينه، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة(١٥).

- حدث سفيان بن عيينة قال: دعانا الرشيد، فدخلنا عليه ودخل الفضيل آخرنا مقنعاً رأسه بردائه، فقال له : ياسفيان، أيهم أمير المؤمنين؟ فقلت: هذا وأومأت إلى الرشيد، فقال له: أنت ياحسن الوجه، الذى أمر هذه الأمة فى يدك وعنقك؟ لقد تقلدت أمراً عظيماً، فبكى الرشيد، ثم أتى بكل رجل منا ببدرة. فكل قبلها إلا الفضيل، فقال له الرشيد: يا أبا على، إن لم تستحلها فأعطها ذا دين، وأشبع بها جائعاً، واكسى به عرياناً، فاستعفاه منها. فلما خرجنا قلت له: يا أبا على، أخطأت، ألا أخذتها وصرفتها فى أبواب البر، فأخذ بلحيتى ثم قال: يا أبا محمد، أنت فقيه البلد والمنظور إليه وتغلط مثل هذا الغلط؟ لو طابت لأولئك لطابت لى(١٦).

---

(١٥) مروج الذهب جـ٣صـ٣٦٢. * البدرة عشرة آلاف درهم

(١٦) مروج الذهب جـ٣صـ٣٦٥.

– قال الأصمعي: دخلت على الرشيد وهو ينظر فى كتاب ودموعه تنحدر على خديه، فظللت قائماً حتى سكن، وحان منه التفاته فقال: اجلس ياأصمعى، أرأيت ماكان؟قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال:أما والله لو كان، لأمر الدنيا مارأيت هذا، ورمى بقرطاس فإذا فيه شعر لأبى العتاهية بخط جليل وهو:

هل أنت معتبر بمن خليـــــت ... منه غداة مضى دساكـــــــره
وبمـــن أذل الموت مصرعــــه ... فتبرأت منـــــه عشائـــــره
وبمـــن خلت منـــه أسرتـــــه ... وبمـــن خلت منـــه منابـــــره
أيـــن الملـــوك وأين غيرهـــم؟ ... صـــاروا مصيراً أنت صائـــــره
يامؤثـــــر الدنيـــــا بلذتـــــه ... والمستعـــد لمـــــن يفاخـــــره
نل ما بدا لك أن تنال من الدنيـــا ... فـــإن المـــوت آخـــــــره

ثم قال الرشيد: كأنى والله أخاطب بذلك دون الناس(١٧).

– قال الأصمعي: كنت عند الرشيد يوماً وعنده عافيه. وقد أحضره لأن قوماً استعدوا عليه إلى الرشيد، فجعل الرشيد يوقفه على ماقيل عنه وهو يجيب عما يسأله. وطال المجلس فعطس الخليفة فشمته الناس ولم يشمته عافية، فقال له الرشيد: لم لم تشمتنى مع الناس؟فقال: لأنك لم تحمد الله، واحتج بالحديث فى ذلك فقال الرشيد: إرجع لعملك فوالله ماكنت لتفعل ماقيل عنك ، وأنت لم تسامحنى فى عطسة لم أحمد الله فيها، ثم رده رداً جميلاً إلى ولايته(١٨).

---

(١٧) المصدر السابق نفسه جـ٣ صـ٣٧٦.

(١٨) البداية والنهاية: جـ١٠ صـ١٧٦– عافية: هو عافيه بن يزيد ابن قيس القاضى للمهدى. وكان عافيه هذا عابداً زاهداً ورعاً– نفس المصدر والجزء والصفحة.

- قال الكسائى: صليت يوماً بالرشيد فأعجبتنى قراءتى ، فغلطت غلطة ماغلطها صبى، أردت أن أقول: لعلهم يرجعون، فقلت لعلهم ترجعين، فما تجاسر الرشيد أن يردها. فلما سلمت قال:أى لغة هذه؟ فقلت: إن الجواد قد يعثر. فقال:أما هذا فنعم(١٩) .وفى عام مائة وتسع وثمانين من الهجرة لما توفى الكسائى ومحمد بن الحسن– على ماتقدم– قال الرشيد: دفنت اليوم اللغة والفقه جميعاً(٢٠) .وكان الرشيد قد أخذ عنهما القرآن والفقه واللغة.

- وعظ عبد الله بن عبد العزيز العمرى هارون الرشيد.فكان الرشيد يتلق قوله نعم ياعم فلما ولى لينصرف بعث إليه بألفى دينار فى كيس مع الأمين والمأمون فاعترضاه بها وقالا له:ياعم يقول لك أمير المؤمنين خذها وانتفع بها أو فرقها فقال: هو أعلم بمن يفرقها عليه ثم أخذ من الكيس ديناراً وقال:كرهت أن أجمع سوء القول وسوء الفعل، وشخص إليه إلى بغداد بعد ذلك فكره الرشيد مصيره إلى بغداد وجمع العمريين فقال لهم: مالى ولابن عمكم احتملته بالحجاز فشخص إلى دار مملكتى يريد أن يفسد على أوليائى ردوه عنى فقالوا: لايقبل منا. فكتب الرشيد إلى واليه موسى بن عيسى أن يرفق به حتى يرده فدعا له ببنى عشر سنين قد حفظ الخطب والمواعظ فكلمه كلاماً كثيراً. ووعظه بمالم يسمع العمرى بمثله ونهاه عن التعرض لأمير المؤمنين فأخذ نعله وقام وهو يقول: «فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير»(٢١) .

(١٩ ، ٢٠)البداية والنهاية: جـ١٠صـ٢٠٢، ٢٠٣.

(٢١) تاريخ الأمم والملوك جـ٦ صـ٥٣٨ بتصرف. *عبدالله العمرى هذا كان عابداً زاهداً– له مع الرشيد مواقف ومواعظ البداية والنهاية جـ١٠صـ١٨٥.

- عرض للرشيد وهو فى الصيد ذات يوم رجل من النساك وكان غليظ القول- فقال: ياهارون اتق الله. فقال هارون لأحد رجاله: خذ هذ الرجل إليك حتى أنصرف. فلما رجع دعا بغدائه ثم أمر أن يطعم الرجل من خاص طعامه، فلما أكل وشرب دعا به فقال: ياهذا أنصفنى فى المخاطبة والمسأله.قال: ذاك أقل مايجب لك. قال هارون: فأخبرنى أنا شر وأخبث أم فرعون؟قال: بل فرعون قال أنا ربكم الأعلى. وقال ماعلمت لكم من إله غيرى. قال هارون: صدقت، فأخبرنى فمن خير أنت أم موسى بن عمران- يقصد موسى النبى عليه السلام-؟قال: موسى كليم الله وصفيه اصطنعه لنفسه وأتمنه على وحيه وكلمه من بين خلقه قال هارون : صدقت، أفما تعلم أنه لما بعثه وأخاه إلى فرعون قال لهما: قولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى، ذكر المفسرون أنه أمرهما أن يكتباه وهذا وهو فى عتوه وجبريته على ماقد علمت، وأنت جئتنى وأنا بهذه الحالة التى تعلم أؤدى أكثر فرائض الله على، ولاأعبد أحداً سواه، أقف عند أكبر حدوده وأمره ونهيه، فوعظتنى بأغلظ الألفاظ وأخشن الكلام وأفظعه، فلا بأدب الله تأدبت ولابأخلاق الصالحين أخذت، فما كان يؤمنك أن أسطوبك، فإذاً أنت قد عرضت نفسك لما كنت عنه غنياً.؟

قال الزاهد: أخطأت يا أمير المؤمنين وأنا أستغفرك. قال : قد غفر لك الله. وأمر له بعشرين ألف درهم فأبى أن يأخذها وقال: لاحاجة لى فى المال، أنا رجل سائح فقال أحد القادة: ترد على أمير المؤمنين ياجاهل صلته؟ وقال الرشيد:امسك عنه، ثم قال للرجل: لم نعطك المال لحاجتك إليه.ولكن من عادتنا أنه لايخاطب الخليفة أحد ليس من أوليائه ولاأعدائه إلا وصله ومنحه

فأقبل من صلتنا ماشئت وضعها حيث أحببت. فأخذ من المال ألفى درهم وفرقها على الحجاب ومن حضر بالباب(٢٢).

– قال أبو معاوية الضرير:ماذكرت النبى صلى الله عليه وسلم بين يدى الرشيد إلا قال: صلى الله على سيدى..وحدثته يوماً حديث « احتج آدم وموسى» وعنده رجل من وجوه قريش، فقال القرشى: فأين لقيه؟ فغضب الرشيد وقال: النطع والسيف، زنديق يطعن فى حديث النبى عليه الصلاةوالسلام ؟قال أبو معاوية: فمازلت أسكنه، وأقول: ياأمير المؤمنين كانت منه نادرة، حتى سكن. وتاب الرجل واستعفر الله فقد كان– لشدة تمسكه بالدين– يكره المراء والجدل فيه وكان يقول: هو شئ لانتيجة له وبالحرى ألا يكون فيه ثواب. وعنه أيضاً قال: أكلت مع الرشيد يوماً . ثم صب على يدى رجل لاأعرفه، ثم قال الرشيد: تدرى من يصب عليك ؟قلت: لا، قال: أنا، إجلالاً للعلم(٢٣).

– قال القاضى الفاضل: فى بعض رسائله: ماأعلم أن لملك رحلة قط فى طلب العلم إلا للرشيد، فإنه رحل بولديه الأمين والمأمون لسماع الموطأ على مالك رحمه الله ، قال: وكان أصول الموطأ بسماع الرشيد فى خزانة المصريين، قال: ثم رحل لسماعه صلاح الدين بن أيوب إلى الإسكندرية، فسمعه على ابن طاهر بن عوف، ولا أعلم لهما ثالث(٢٤).
وللمصور النمرى فى الرشيد:

---

(٢٢) تاريخ الأمم والملوك جـ٦صـ٥٣٩ بتصرف قليل.
(٢٣) تاريخ الخلفاء صـ٢٨٥/البداية والنهاية: جـ١٠صـ٢١٥/تاريخ الأمم والملوك جـ٦صـ٥٣٠.
(٢٤) تاريخ الخلفاء صـ٢٩٤.

جعل القرآن إمامه ودليلـــه لما تخيره القـــرآن ذمامـــا

وله فيه من قصيدة:

إن المكارم والمعروف أوديـة أحلك الله منها حيث تجتمـع[٢٥].

– قال ابن قتيبه: حدثنا الرياشي سمعت الأصمعي يقول: دخلت على الرشيد وهو يقلم أظفاره يوم الجمعه فقلت له في ذلك، فقال: أخذ الأظفار يوم الخميس من السنة، وبلغني أن أخذها يوم الجمعة ينفي الفقر. فقلت: يا أمير المؤمنين أو تخشى الفقر؟ فقال:يا أصمعي وهل أحد أخشى للفقر مني[٢٦].

– قال ابن كثير: روى الحديث عن أبيه وجده، وحدث عن المبارك بن فضاله عن الحسن عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلـــم قال:« اتقوا النار ولو بشق تمرة» أورده وهو على المنبر وهو يخطب الناس[٢٧].

ومما رواه الرشيد من الحديث أيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم نظفوا أفواهكم، فإنها طريق القرآن[٢٨].

---

(٢٥) المرجع السابق.
(٢٦) البداية والنهاية: جـ١٠ صـ٢١٦.
(٢٧) المصدر السابق جـ١٠ صـ٢١٣.
(٢٨) تاريخ الخلفاء صـ٢٩٧.

توبيخه لنفسه وتأديبه لها:

- حدث إبراهيم بن المهدى قال: استزرت الرشيد بالرقة، فزارنى، وكان يأكل الطعام الحار قبل البارد، فلما وضعت البوارد رأى فيما قرب إليه قريص مثل قريص السمك، فاستصغر القطع، وقال: لم صغر طباخك تقطيع السمك؟فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه ألسنة السمك، قال:فيشبه أن يكون فى الجام مائة لسان، فقال مراقب خادمه: يا أمير المؤمنين، فيها أكثر من مائة وخمسين، فاستحلفه عن مبلغ السمك، فأخبره أنه قام بأكثر من ألف درهم، فرفع الرشيد يده وحلف أن لايطعم شيئاً دون أن يحضره ألف درهم، فلما حضر المال أمر أن يتصدق به وقال: أرجو أن يكون كفارة لتسرفك فى إنفاقك على جام سمك ألف درهم، ثم ناول الجام بعض خدمه وقال: اخرج..ثم انظر أول سائر تراه فادفعه إليه، وقال إبراهيم: وكان شراء الجام على الرشيد بمائتين وسبعين دينار، فغمزت بعض خدمى، للخروج مع الخادم ليبتاع الجام ممن يصير إليه ، وفطن الرشيد فقال له:ياغلام إذا دفعته إلى سائل فقل له: يقول لك أمير المؤمنين إحذر أن تبيعه بأقل من مائتى دينار فإنه خير منها، ففعل الخادم ذلك، فوالله ما أمكن خادمى أن يخلصه من السائل إلا بمائتى دينار(٢٩).

- روى ابن عسكر عن إبراهيم المهدى فقال: كنت يوماً عند الرشيد فدعا طباخه فقال: أعندك من الطعام لحم جزور؟ قال: نعم، ألوان منه. فقال: أحضره مع الطعام . فلما وضع بين يديه أخذ لقمة منها فوضعها فى فيه

---

(٢٩) مروج الذهب جـ٣صـ٣٧٣.

فضحك جعفر البرمكى، فترك الرشيد مضغ اللقمة وأقبل عليه فقال: مم تضحك؟ قال: لاشئ ياأمير المؤمنين، ذكرت كلاماً بينى وبين جاريتى البارحة. فقال له : بحقى عليك لما أخبرتنى به . فقال: حتى تأكل هذه اللقمة، فألقاها من فيه وقال:والله لتخبرنى فقال: يا أمير المؤمنين بكم تقول إن هذا الطعام من لحم الجزور يقوم عليك؟ قال: بأربعة دراهم. قال: لاوالله يا أمير المؤمنين بل بأربعمائة ألف درهم. قال: وكيف ذلك؟ قال: إنك طلبت من طباخك لحم جزور قبل هذا اليوم بمدة طويلة فلم يوجد عنده. فقلت:لايخلون المطبخ من لحم جزور، فنحن ننحر كل يوم جزوراً لأجل مطبخ أمير المؤمنين، لأنا لا نشترى من السوق لحم جزور ـ فصرف فى لحم الجزور من ذلك اليوم إلى هذا اليوم أربعمائة الف درهم ، ولم يطلب أمير المؤمنين لحم جزور إلا هذا اليوم. قال جعفر: فضحكت لأن أمير المؤمنين إنما ناله من ذلك هذه اللقمة. فهى على أمير المؤمنين بأربعمائة ألف. قال: فبكى الرشيد بكاءً شديداً وأمر برفع السماط من بين يديه، وأقبل على نفسه يوبخها ويقول: هلكت والله ياهارون الرشيد. ولم يزل يبكى حتى آذنه المؤذنون بصلاة الظهر، فخرج فصلى بالناس ثم رجع يبكى حتى آذنه المؤذنون بصلاة العصر، وقد أمر بألفى ألف تصرف إلى فقراء الحرمين فى كل حرم ألف ألف صدقة، وأمر بألفى ألف يتصدق بها فى جانبى بغداد الغربى والشرقى. وبألف ألف يتصدق بها على فقراء الكوفة والبصرة. ثم خرج إلى صلاة العصر ثم رجع يبكى حتى صلى المغرب ثم رجع فدخل عليه أبو يوسف القاضى فقال: ماشأنك يا أمير المؤمنين باكياً اليوم؟ فذكر أمره وماصرف من المال الجزيل لأجل شهوته، وإنما ناله منها لقمة، فقال أبو يوسف لجعفر: هل كل ماتذبحونه من الجزور يفسد. أو يأكله الناس؟ قال: بل يأكله الناس.

فقال أبشر يا أمير المؤمنين بثواب الله فيما صرفته من المال الذى أكله المسلمون فى الأيام الماضية، وبما يسره الله عليك من الصدقة، وبما رزقك الله من خشيته وخوفه فى هذا اليوم، وقد قال الله تعالى: ولمن خاف مقام ربه جنتان. فأمر له الرشيد بأربعمائة ألف. ثم استدعى بطعام فأكل منه فكان غداؤه فى هذا اليوم عشاء(٣٠).

إنفاقه وعطاؤه رضي الله عنه:

- حدث سفيان بن عيينه قال: دخلت على الرشيد فقال: ماخبرك؟ فقلت:

بعين الله ماتخفى البيـــوت ... فقد طال التحمل والسكـوت

فقال: يافلان مائة ألف لابن عيينه تغنيه وتغنى عقبه ، ولا تضر الرشيد شيئا(٣١)

قال الأصمعى: كنت مع الرشيد فى الحج فمررنا بواد فاذا على شفيره امرأة حسناء بين يديها قصعة وهى تسال منها وهى تقول:

طحطحتنا طحاطح الأعـــوام ... ورمتنا حـوادث الأيــــــام
فأتيناكـــم نمـــد أكفـــا ... نـا ثلات لزادكـــم والطعـام
فاطلبوا الأجر والمثوبـة فينـــا ... أيها الزائرون بيـــت الحـــرام
من رآنى فقد رآنى ورحلـــى ... فارحموا غربتى وذل مقامـــى

- قال الأصمعى: فذهبت إلى الرشيد فأخبرته بأمرها فجاء بنفسه حتى وقف عليها فسمعها فرحمها وبكى. وأمر مسروراً الخادم أن يملأ قصعتها ذهباً، فملأها حتى جعلت تفيض يميناً وشمالا(٣٢).

---

(٣٠) البداية والنهاية: جـ١٠ صـ٢١٦.

(٣١) البداية والنهاية : جـ ١٠ ، ص ٢١٨، ٢١٩.

- سمع مرة الرشيد أعرابياً يحدو إبله فى طريق الحج:

أيها المجمع هما لاتهـــــم ... أنت تقضى ولك الحم تحـــم.

كيف ترقيك وقد جف القلـم ... حطت الصحة منك والسقـــم.

فقال الرشيد لبعض خدمه: مامعك؟ قال: أربعمائة دينار، فقال إدفعها إلى هذا الأعرابى. فلما قبضها ضرب رفيقه بيده على كتفه وقال متمثلاً:

وكنت جليس قعقاع بن عمرو ... ولايشقـــى بقعقاع جـــليس

فأمر الرشيد أن يعطى المتمثل مامعه من الذهب فإذا معه مائتا دينار. وأصل هذا المثل أن معاوية بن أبى سفيان أهديت له هدية جامات من ذهب فرقها على جلسائه وإلى جانبه قعقاع بن عمرو، وإلى جانب القعقاع أعرابى لم يفضل منها شئ. فأطرق الأعرابى حياء ورفع إليه القعقاع الجام الذى حصل له، فنهض الأعرابى وهو يقول: وكنت جليس قعقاع بن عمرو إلى آخره(٣٣).

- خرج الرشيد يوماً من عند زبيدة وهو يضحك فقيل له. م تضحك يا أمير المؤمنين؟ فقال: دخلت اليوم إلى هذه المرأة- يعنى زبيدة- فأقلت عندها وبت، فما استيقظت إلا على صوت ذهب يصب، قالوا: هذه ثلاثمائة ألف دينار قدمت من مصر، فقالت زبيدة: هبها لى يابن عم، فقلت: هى لك، ثم ماخرجت حتى عربدت على وقالت: أى خير رأيته منك(٣٤).

- قال الرشيد مرة للمفضل الضبى: ما أحسن ماقيل فى الذئب، ولك هذا الخاتم، وشراؤه ألف وستمائة دينار، فأنشد قول الشاعر:

(٣٢-٣٤)البداية والنهاية: جـ١٠ صـ٢١٨، ٢١٩.

يـنام باحدى مقلتيه ويتقى   بأخرى الرزايا فهو يقظان نائم

فقال: ماقلت هذا إلا لتسلبنا الخاتم. ثم ألقاه إليه فبعثت زبيدة فاشترته منه بألف وستمائة دينار، وبعثت به إلى الرشيد وقالت: إنى رأيتك معجباً به. فرده إلى المفضل والدنانير، وقال: ماكنا لنهب شيئاً ونرجع فيه(٣٥).

- قال ابن كثير والطبرى: وكان يتصدق من صلب ماله فى كل يوم بألف درهم بعد زكاته، وإذا حج أحج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم وإذا لم يحج أحج ثلاثمائة بالنفقة السابغة والكسوة الباهرة التامة، وكان يحب التشبه بجده أبى جعفر المنصور إلا فى العطاء- بذل المال- فإنه كان سريع العطاء جزيله، وكان يحب الفقهاء والشعراء. ويعطيهم ولا يضيع لديه بر ومعروف، وكان لا يضيع عنده إحسان محسن ولا يؤخر ذلك فى أول ما يجب ثوابه(٣٦).

حرصه علي تراث المدينة وبره بأهلها:

- عندما حج الرشيد فى عام ١٧٤ من الهجرة: قدم المدينة زائراً قبر النبى صلى الله عليه وسلم، جلس إلى الإمام مالك وسمع منه الموطأ، وقال له الإمام مالك: إن أباك أمير المؤمنين، بعث إلى فى هذا المجلس، كما بعثت إلى، وحدثته بما حدثتك به من شأن أهل المدينة، وما يصبرون عليه من البلاء وشدة الزمان. وغلاء الأسعار، صبراً على ذلك وإختياراً لجوار الرسول صلى الله عليه وسلم. فقال الرشيد:ذلك أبى وأنا ولده _ وسوف أفعل مافعل......وأمر فى الحال لأهل المدينة بعشرة أبيات مال. وهو ماكان أمر لهم

---

(٣٥) المرجع السابق : جـ١٠ ، صـ٢١٨ ، ٢١٩.

(٣٦) البداية والنهاية: جـ١٠صـ٢١٤/تاريخ الأمم والملوك جـ٦صـ٥٣٠ بتصرف.

به أبوه....ثم قال الرشيد للإمام مالك: ما تقول فى منبر الرسول هذا، فإنى أريد أن أنزع مازاد فيه معاوية بن أبى سفيان وأرده إلى الثلاث درجات التى كانت على عهد رسول الله؟فقال مالك: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فانما هو عود ضعيف، قد تخرمته المسامير، وقد ذهب أكثره. ومع هذا يا أمير المؤمنين، فإنك لو أعدته إلى ثلاث درجات لم آمن عليه أن ينتقل من المدينة...إذ قد يأتى بعدك أحد فيقول: أو يقال له: ينبغى لمنبر الرسول أن يكون معك حيث كنت . فانما المنبر للخليفة. فينتقل- كما نقل من المدينة- كل ماكان بها من آثار النبى صلى الله عليه وسلم. لأنه ما ترك له بها نعل ولاشعر، ولا فراش، ولا عصى، ولاقدح، ولا شئ مما كان له هنا من آثار إلا وقد انتقل.فأطاعه الرشيد وانتهى عن تغيير منبر الرسول صلى الله عليه وسلم(٣٧).

حرصه علي الدعوة إلي الله وانقياده للحق:

- طلب أحد ملوك السند من الرشيد، أن يبعث إليه من يناظره فى الدين الإسلامى، ليرى فيه رأيه. فبعث إليه الرشيد أحد القضاة.....وجرت بين هذا القاضى، وبين رئيس علماء السند، مناظرة أمام الملك، حيث سأل كبير علماء السند، قاضى المسلمين قائلاً: أخبرنى عن معبودك هل هو القادر؟قال القاضى: نعم وقال السندى: قادر على أن يخلق مثله؟فامتنع القاضى عن الإجابة. وقال: هذه المسأله من علم الكلام وهو بدعة. وأصحابنا ينكرونه. فاتجه السندى للملك، وقال له:قد كنت أعلمتك دينهم. فكتب ملك السند بذلك للرشيد، فغضب غضباً شديداً. وقال:أليس لهذا الدين من

(٣٧) مالك بن أنس إمام دار الهجرة صـ٢٦٠، ٢٦١. أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ صـ٣٠٤.

يناضل عنه ؟قالت الحاشية: بلى يا أمير المؤمنين. هم الذين نهيتهم عن الجدل فيه، وألقيت جماعة منهم فى السجن......قال: أحضروهم. فلما حضروا سألهم: ماتقولون فى هذه المسألة. فقال أحدهم: هذا السؤال محال لأن المخلوق لا يكون إلا محدثاً. والمحدث لايكون مثل القديم...فقد استحال أن يقال: يقدر أن يخلق مثله أولايقدر ....كما استحال أن يقال: يقدر أن يكون عاجزاً أو جاهلاً. فاختار الرشيد أحد هؤلاء العلماء أرسله إلى ملك السند، ثم أطلق سراح العلماء المسجونين واختار من بينهم حاشيته[٣٨].

(٣٨) أباطيل يجب أن تمحى: صـ٣٠٣، ٣٠٤: فانه كان قد سجن علماء الكلام لأنه كان يكره الجدل وعلم الكلام- كما سبق أن أوضحناه.

التهم والشبهات التي أثيرت حوله

كثير من المؤرخين- متعمداً أو غير متعمد- عندما يتحدث أو يكتب عن الرشيد لاينسى أن يذكر: أن مجالس الرشيد كانت تعج باللهو والطرب والمغنيات والمجون والفسق. وليته يكتفى بنسبة هذه الأمور إلى الرشيد وحده، ولكنه يذكر أن المجتمع أجمع تنتشر فيه هذه الأمور، وكل ذلك دائما يكتب ويذكر تحت مصطلح « الحضارة العربية والإسلامية» فيتخيل البسطاء- وخاصة الذين ليست لديهم دراية ولاخبرة بالتاريخ ووقائعه، أن هذا الخليفة ومجتمعه كان بعيداً عن الإسلام وعن جوهره.

إن الذى ذكرناه آنفاً عن هارون الرشيد وأسرته ومجتمع الإسلام فى عصره يكفى أن يكون رداً على هؤلاء الجهلة الذين يكتبون أو ينقلون من غير تحقيق للروايات أو تحليلها، أو قراءة مقدمات كتب التواريخ التى ينقلون منها وفى الصفحات التالية نحاول أن نكشف اللثام عن التهم والشبهات التى أثيرت حول هارون الرشيد داعين الله أن يوفقنا لذلك:

(١) اتهام الرشيد بشرب الخمر:

ذكر المؤرخون القدامى أن الرشيد رضى الله عنه كان يشرب نبيذ التمر، وأنه كانت له أيام فى الأسبوع يجلس مع خواصه للشراب. من هذه الروايات. يقول الجاحظ: وكان الرشيد يشرب فى كل جمعة مرتين. وربما قدم أيامه وأخرها. على أنه لم يره أحد قط يشرب ظاهراً. إلا أنه كان يقعد هذين اليومين لندمائـــه[١]. ولم يذكر الرشيد وحده وإنما ذكروا علماء وفقهاء منهم: الإمـــام

(١) شبهات حول العصر العباسى الأول:صـ٤٤، ٤٥.

الأعظم أبو حنيفة. ذكر ابن القيم الجوزيه فى كتابه إغاثة اللهفان قال: وكان أبو حنيفة رضى الله عنه يشرب النبيذ.

يقول الدكتور مؤيد فاضل معلقاً على رواية الجاحظ: «إذا ماسمعنا هذا تبادر إلى أذهاننا وتصورنا أنه شرب الخمر»(٢) .لأن الشراب والنبيذ فى عصرنا وفى مفهومنا وتصورنا فى بلادنا هو الخمر بعينه. ولو سلمنا بذلك لاتهمنا الإمام الأعـظم أبو حنيفة بمعاقرة الخمر لشربه النبيذ!! وهذا لايتفق مع مكانة أبو حنيفة الفقهية والعلميه.. وأيضاً لاتهمنا الرسول صلى الله عليه وسلم بمعاقره الخمر لحديث أبى هريرة عن أبى داود، النسائى وابن ماجة. قال: علمت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصوم، فتحينت فطره بنبيذ صنعته فى دباء، ثم اتيته فإذا هو ينش فقال: اضرب بهذا الحائط، فإن هذا شراب من لايؤمن بالله واليوم الآخر(٣) .ينش: يغلى.

إذاً هناك شبهة وهى أن النبيذ والشراب المقصود فى الروايات السابقة ليس هو الخمر والنبيذ الذى نعرفه فى عصرنا. فما هو المقصود الآن بنبيذ التمر والشراب الذى كان يشربه الرشيد والإمام أبو حنيفة فى ذلك العصر؟

فى مذهب الإمام أبو حنيفة المعمول به فى العراق أيام الرشيد يحل شرب عصير التمر فى حالتين، إحداهما مجمع عليها لدى فقهاء هذا المذهب والأخرى مختلف فيها بينهم..........

---

(٢) شبهات حول العصر العباسى الأول صـ٤٤، ٤٥.

(٣) فقه السنة المجلد الثانى صـ٥٣٠ يقول: يجوز شرب العصير والنبيذ قبل غليانه– الغليان يعنى الاختمار.....ومن المعروف من سيرة رسول الله ﷺ أنه لم يشرب الخمر قط لاقبل البعثه ولابعدها، إنما كان شرابه من هذا النبيذ الذى لم يتخمر بعد.....

* **الحالة الأولى:** إذا نقع أو طبخ طبخاً وشرب منه قبل أن يغلى ويشتد وعصير التمر فى هذه الحالة حلال بإجماع فقهاء هذا المذهب.

* **الحالة الثانية:** إذا طبخ طبخاً حتى غلا واشتد وشرب منه مقدار قليل يغلب على ظن الشارب أنه لا يسكره وكان شربه له لغرض التقوى لايقصد اللهو والطرب. والقول بالحل فى هذه الحالة ليس مجمعاً عليه فى مذهب أبى حنيفة– فالإمام محمد يقول بالحرمة. هذا إلا أن الشارب إذا تناول من هذا العصير المطبوخ مقداراً كبيراً يسكر عادة، أو شربه بقصد اللهو والطرب فإنه يكون حراماً بإجماع فقهاء هذا المذهب– وهذا كله فى حالة الطبخ. أما إذا نقع وترك حتى غلا واشتد فإنه يكون حراماً على الإطلاق بإجماعهم[٤].

والسؤال الآن: ماذا كان يشرب الرشيد؟ الأنواع المسكرة أم الأخرى؟.

– **أولا:** الروايات التى ذكرت شرب الرشيد للخمر متناقضه ومتضاربة وأكثرها من الشيعة والبرامكة والزنادقة الذين قاتلهم الرشيد مثال على ذلك: ذكر ابن طباطبا المؤرخ الشيعى، فى كتابه « الفخرى فى الآداب السلطانية» قال: « إن الرشيد لما أراد أن يقتل جعفر بن يحيى البرمكى، أرسل إليه منصور الخادم ليقتله، فلما دخل مسرور على جعفر، فأخبره بأمر الرشيد، وقع على قدميه وقال له: عاود أمير المؤمنين، فإن الشراب قد حمله على ذلك[٥]. وبعدها بصفحة واحدة قال: « إن الرشيد كان قد أقام الحد على ابنه المأمون، فى جارية وجد معها.........أو فى خمر شربه»[٦]. فالرواية الأولى تدل على أن الرشيد كان يشرب الخمر ويسكر منها. والرواية الثانية تـــدل على أن الرشيد

---

(٤) شبهات حول العصر العباسى الأول صـ٧١، ٧٢.

(٥–٦) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ صـ٣٠٠ بتصرف.

أقام الحد على شاربها وهو ابنه. فانظر إلى هذا التناقض العجيب فى الروايتين. إذ كيف يبيح لنفسه شرب الخمر ثم يقيم الحد على ابنه في شربها؟

- **ثانيا:** يقول الجاحظ فى كتابه التاج فى أخلاق الملوك: « وكان الرشيد فى أخلاق أبى جعفر المنصور يمتثلها كلها إلا فى العطايا والصلات والخلع. فانه كان يقفو فعل أبى العباس والمهدى. ومن خبرك أنه قد رآه قط وهو يشرب الماء، فكذبه. وكان لايحضر شربه إلا خواص جواريه.»(٧).فهو هنا لايشرب الخمر وإنما الماء ويحضر مجلسه خواص جواريه.

- **ثالثاً:** ذكر المؤرخ «ابن خلدن» فى كتابه «المقدمة» يعرض هذا الإتهام- إتهام الرشيد بالخمر- ويرد عليه قائلاً: « ....من ذلك ماتموء به الحكاية من معاقرة الرشيد الخمر، واقتران سكره بسكر الندمان، فحاشا لله، ماعلمنا عليه من سوء، وأن هذا من حال الرشيد، وقيامه بما يجب لمنصب الخلافه من الدين والعدالة، وماكان عليه من صحابة العلماء والأولياء، ومحاورته الفضيل بن عياض وابن السماك والعمرى ومكاتبته سفيان الثورى، وبكائه من مواعظهم ودعائه بمكة فى طوافه، وماكان عليه من العبادة والمحافظة على أوقات الصلوات، وشهود الصبح لأول وقتها. حكى الطبرى وغيره أنه كان يصلى فى كل يوم مائة ركعة نافلة، وكان يغزو عاماً ويحج عاماً. ولقد زجر ابن أبى مريم مضحكه فى سمره حين تعرض له بمثل ذلك فى الصلاة لما سمعه يقرأ« ومالى لا أعبد الذى فطرنى» وقال: والله ما أدرى لم. فما تمالك الرشيد أن ضحك . ثم التفت إليه مغضباً وقال: ياابن أبى مـــريم فى

(٧) شبهات حول العصر العباسى الأول صـ٤٥.

الصلاة أيضاً؟ إياك إياك والقرآن والدين ولك ماشئت بعدهما. وأيضاً فقد كان من العلم والسذاجة[٨]. بمكان لقرب عهده من سلفه المنتحلين لذلك. ولم يكن بينه وبين جده أبى جعفر بعيد زمن إنما خلفه غلاماً وقد كان أبى جعفر بمكان من العلم والدين قبل الخلافة وبعدها وهو القائل لمالك حين أشار عليه بتأليف الموطأ[٩].: يأبا عبد الله إنه لم يبق على وجه الإرض أعلم منى ومنك. وإنى قد شغلتنى الخلافة فضع أنت للناس كتاباً ينتفعون به تجتنب فيه رخص بن عباس وشدائد ابن عمر ووطئه للناس توطئة. قال مالك: فوالله لقد علمنى التصنيف يومئذ. ولقد أدركه ابنه المهدى أبو الرشيد هذا وهو يتورع عن كسوة الجديد لعياله من بيت المال ودخل عليه يوماً وهو بمجلسه يباشر الخياطين فى إرقاع الخلقان من ثياب عياله فاستنكف المهدى من ذلك وقال: يا أمير المؤمنين على كسوة هذه العيال عامنا هذا من عطائى. فقال: له لك ذلك ولم يصده عنه، ولا سمح بالإنفاق فيه من أموال المسلمين. فكيف يليق بالرشيد على قرب العهد من هذا الخليفة وأبوته وما ربى عليه من أمثال هذه السير فى أهل بيته والتخلق بها أن يعاقر الخمر أو يجاهر بها. وقد كانت حالة الأشراف من العرب الجاهلية فى إجتناب الخمر معلومة ولم يكن الكرم[١٠]شجرتهم وكان شربها مذمة عند الكثير منهم والرشيد آباؤه كانـوا على ثبج[١١]من إجتناب المذمومات فى دينهم ودنياهم

---

(٨) السذاجة: يقصد بها الفطرة السليمة والوضع الصحيح الطبيعى الذى لم يشيه شائبه/ الساذج الصافى الذى لم يختلط بغيره.. انظر شبهات ٦٩.

(٩) الموطأ: كتاب للإمام مالك جمع فيه أحاديث كثيرة وفقه.

(١٠) الكرم: العنب.

(١١) ثبج: كان على ثبج من كذا:أى متمكنة منه وراسخاً فيه وفى أسمى مرتبة من مراتبه. أنظر شبهات صـ٧٠.

والتخلق بالمحامد وأوصاف الكمال ونزعات العرب. وانظر مانقله الطبرى والمسعودى فى قصة جبريل بن بختيشوع الطبيب حين أحضر له السمك على مائدته فحماه عنه ثم أمر صاحب المائدة بحمله إلى منزله. وفطن الرشيد وارتاب به. ودس خادمه حتى عاينه يتناوله فأعد ابن بختيشوع للإعتذار ثلاث قطع من السمك فى ثلاثة أقداح خلط إحداهما باللحم المعالج بالتوابل والبقول والبوارد والحلوى. وصب على الثانية ماءً مثلجاً وعلى الثالثة خمراً صرفاً وقال فى الأول والثانى هذا طعام أمير المؤمنين إن خلط السمك بغيره أو لم يخلطه. وقال فى الثالث هذا طعام ابن بختيشوع. ودفعها إلى صاحب المائدة حتى إذا انتبه الرشيد وأحضره للتوبيخ أحضر ثلاثة الأقداح فوجد صاحب الخمر قد اختلط وأماع وتفتت ووجد الآخرين قد فسدا وتغيرت رائحتها. فكانت له فى ذلك معذرة وتبين من ذلك أن حال الرشيد فى اجتناب الخمر كانت معروفة عند بطانته وأهل مائدته ولقد ثبت عنه أنه عهد بحبس أبو نواس(١٢). لما بلغه من إنهماكه فى المعاقرة حتى تاب وأقلع. وإنما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر(١٣). على مذهب أهل العراق وفتاويهم فيها معروفة وأما الخمر الصرف فلا سبيل إلى إتهامه بها ولا تقليد الأخبار الواهية فيها فلم يكن الرجل بحيث يواقع محرماً من أكبر الكبائر عند أهل الملة. ولقد كان أولئك القوم كلهم بمنحاه من ارتكاب السرف والترف فى ملابسه وزينتهم وسائر متناولاتهم لما كانوا عليه من خشونه البداوة وسذاجة الدين التى لم يفارقوها بعد، فمـــا ظنك بما يخرج عن الإباحـة إلى الحظر

(١٢) أبو نواس: شاعر ماجن كان يشرب الخمر وأقام الرشيد عليه الحد: وفيات الأعيان جـ٢ صـ٩٥-١٠٤.

(١٣) نبيذالتمر: سبق الكلام عنه.

وعن الحلة إلى الحرمة، ولقد اتفق المؤرخون الطبرى والمسعودى وغيرهم على أن جميع من سلف من خلفاء بنى أمية وبنى العباسى إنما كانوا يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة فى المناطق والسيوف واللجم والسروج وأن أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب هو المعتز بن المتوكل ثامن الخلفاء بعد الرشيد وهكذا كان حالهم أيضاً فى ملابسهم فما ظنك بمشاربهم(١٤). وخلاصة القول: أن الرشيد لم يشرب الخمر وإنما كان يشرب المشروبات الحلال وخاصة نبيذ التمر الذى أفتى بحله وتحليله جمهرة من فقهاء العراق، وفيهم الإمام الأعظم أبو حنيفة رضى الله عنه حيث كان هو أيضاً يشربه، وكان الرشيد يشرب هذا النبيذ الحلال فى مجلس خاص مع نفر قليل جداً من حاشيته وجلاسه ولايراه أحد دون هؤلاء. أما ماشاع عن انتشار الخمر فى العصر العباسى الأول وعصر الرشيد بصفة خاصة وأن مجالس الشراب كانت تعقد ليل نهار، فإن واقع هذه الدولة وهذا العصر يكذبه وخاصة إذا علمنا أن حاشية الرشيد كان على رأسها الأئمة: أبو يوسف- أبو حنيفة- مالك ابن انس- الشافعى- الفضيل ابن عياض- عبد الله بن المبارك- محمد بن الحسن الشيبانى وغيرهم فهل كل هؤلاء يسكتون إذا وجدت الخمر بهذه الصورة التى ذكرها المرجفون.؟ أضف إلى ذلك أن هناك أنواعاً كثيرة من المشروبات كانت منتشرة فى هذا العصر وكلها يطلق عليها الشراب مثل: الماء، اللبن، الشربات أو الشربت، وهذه كانت تصنع من الماء المحلى بالسكر وتعطر بخلاصة البنفسج أو الموز أو الورد أو التوت(١٥).

(١٤) مقدمة ابن خلدون صـ١٧-١٩.
(١٥) شبهات حول العصر العباسى الأول صـ٧٤، ٧٥ بتصرف.

يقول الدكتور مؤيد فاضل: فإذا كان هذا حال الناس، فالأولى أن يكون خلفاؤهم أبعد عن إفساح المجال لطعن الأعداء، لأنهم كانوا يعلمون أن حركاتهم وسكناتهم ترصد عليهم(١٦).

(٢) مجالس الغناء والطرب والجوارى:

ذكر المؤرخون القدامى كثيراً عن موضوع الغناء واهتمام العباسيين به وتطوره تطوراً بالغاً وخاصة فى أيام الرشيد. فمن هذه الروايات: يقول ابن طباطبا الشيعى: لم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة والكتاب والندماء والمغنيين، ما اجتمع على باب الرشيد. وكان يصل كل واحد منهم أجزل صلة ويرفعه إلى أعلى درجة(١٧).وممن نبغ فى عصر الرشيد من المغنيين: ابراهيم الموصلى وابن جامع وزلزل. وكان زلزل يضرب ويغنى هذان عليه وكان زلزل مغنيا يضرب بغنائه وضربه العود المثل(١٨).هذا ما أورده أبو المحاسن صاب كتاب النجوم الزاهرة. أما ماأورده صاحب كتاب التاج فى أخلاق الملوك أن زلزل كان: من أحسن وأحذق من برأ الله بالجس فكان إذا جس العود، فلو سمعه الأحنف ومن تحالم فى دهره كله لم يملك نفسه حتى يطرب(١٩) ......أما صاحب البداية والنهاية فيقول عن ابراهيم الموصلى أنه كان فاضلاً بارعاً فى صناعة الغناء، وكان مزوجاً بأخت المنصور الملقب بزلزل....فإذا غنى هذا وضرب هذا اهتز المجلس(٢٠).وقـــد أنشأ زلزل هذا فى بغداد: بركه

---

(١٦) المرجع السابق ، ص ٧٤ ، ٧٥ .

(١٧) تاريخ الأسلام السياسى والدينى....حسن ابراهيم جـ٢صـ٤٠٦ .

(١٨) النجوم الزاهرة: جـ٢صـ٧٨.

(١٩) التاج فى أخلاق الملوك صـ٣٧- ٩٣ نقلاً عن حسن ابراهيم جـ٢صـ٤٠٦ .

(٢٠) البداية والنهاية: جـ١٠صـ٢٠١ .

وقفها على المسلمين، فاشتهرت باسمـــه، وأكثر الشعراء من ذكرها(٢١) .وممن اشتهر بالغناء ونبغ فيه أيضاً مسكين المدنى المعروف بأبى صدفة، وعيسى بن الرشيد، وزرياب الفارسى الأصل مولى الخليفة المهدى الذى رحل إلى بلاد المغرب ثم إلى الأندلس.

ولكن كيف كان الغناء الذى كان منتشراً فى هذا العصر؟ بداية الغناء الأصل فيه الإباحة إلاّ إذا تسبب فى فتنة أو غيرها أو ضياع وقت فيما لا يفيد، والغناء الحلال هو الغناء الدينى والحماسى والعاطفى الذى يخلو من الفجور والفسق والمجون ووصف النساء ولا يثير الغرائز. يقول المؤرخ: جمال الدين أبى المحاسن فى كتابه النجوم الزاهرة....فى حوادث١٧٤ من الهجرة: .....وفيها توفى منصور مولى عيسى بن جعفر بن منصور، وكان منصور هذا يلقب بزلزل، وكان مغنيا يضرب بغنائه المثل، وكان الغناء يوم ذاك غير الموسيقى الآن، وإنما كانت زخمات عددية وأصوات مركبة فى أنغام معروفة، وهو نوع من إنشاد زماننا على الضروب لإنشاد المداح والوعاظ(٢٢).

وهذه نماذج من الشعر الغنائى المنتشر فى ذلك العصر:

نراع بذكر الموت ساعة ذكـره ونفتر بالدنيا فنلهو ونلعـــب
ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيــرها وماكنت فيه فهو شئ محبــب

ومنــــه:

المرء فـــى تأخير مدتـــه كالثـوب يبلى بعد جدتـــه
عجباً لمنتبـــه يضيع مـــا يحتاج فيه ليـــوم رقدتـــه

---

(٢١) تاريخ الإسلام...حسن ابراهيم جـ٢ صـ٤٠٤.

(٢٢) جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى (٨١٣هـ-٨٧٤هـ) انظر كتاب النجوم الزاهرة .....جـ٢ صـ٧٨.

ومنــــــه:

إنما أنت مستعير لما ســـــــو ف تردن، والمعار يـــــــــرد

كيف يهوى امرؤ لذاذة أيــــا م عليه الأنفاس فيها تعــــــد؟!

ومنــــــه:

نسيت الموت فيما قـــد نسيت كأنى لم أجد أحـــد يمـــوت

أليس الموت غاية كل حــــى فمالــــى لأبادر مايفـــــوت

ومنـــــه أيضـاً:

ألايا موت لم أر منك بـــــدا أتيت بما يخيف ولا تحابـــــى

كأنك قد هجمت على مشيبتى كما هجم المشيب على شبابـــى(٢٣)

أما موضوع الجوارى، وما ذكر من أن الرشيد كان عنده جوارى كثيرات فهذا أمر صحيح، ولكن قد يتبادر إلى تفكيرنا أنهن العشيقات والخليلات فنتهم الرجل بأنه كان رجل نساء وكان يفعل المحرمات معهن. وسبب ذلك هو الإختلاف فى التصور بين عصرنا وعصر الرشيد تماماً مثل الإختلاف الذى ذكرناه عن الشراب والغناء.

يقول الدكتور مؤيد فاضل: « وفى الحديث عن الجوارى مثال آخر للإختلاف فى التصور بيننا وبينهم، فقد وصم الخلفاء بأنهم كانوا يتخذون العشيقات والخليلات من الجوارى، وراحوا يتغزلون بهن شعراً ونثراً، فمفهومنا وتصورنا لهذا الغزل ولأولئك الجوارى أوقفنا فى هذا الوهم حيث اعتبرنا ذلك نقيصه فى الخلفاء ، ولو أننا كنا نملك تصور ذلك العصر، ولو أننا عرفنا وتصورنا حياة الجوارى، والحلال منهن والحرام، وماهى حقوق السيد عليهن وحقوقهـــن

(٢٣) مروج الذهب جـ٣ صـ٣٦٨، ٣٦٩.

على أسيادهن، ماوقعنا فى هذا الخطأ. فالجارية ملك يمين يملك سيدها حق التمتع بها وحق الاستخدام...وليس على السيد أن يعدل بين إمائه كما يعدل بين نسائه[٢٤].

يقول ابن قدامه فى كتابه المغنى: «إن السيد يملك من أمته منفعتين، منفعة الاستخدام والاستمتاع»[٢٥]. كما أنه «... لاقسم على الرجل فى ملك يمينه فمن له نساء فله الدخول على الإماء كيف شاء والاستمتاع بهن إن شاء كالنساء، وإن شاء أقل، وإن شاء أكثر، وإن شاء ساوى بين الإماء وإن شاء فضل، وإن شاء استمتع من بعضهن دون بعض بدليل قول الله تعالى: «فإن خفتم أن لاتعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم» ، وقد كان للنبى صلى الله عليه وسلم مارية القبطية وريحانة فلم يكن يقسم لهما[٢٦]. ومارية القبطية هذه هى التى أهداها المقوقس للرسول صلى الله عليه وسلم، وهى أم ولده إبراهيم، الذى توفى بالمدينة صغيراً فى حياته صلى الله عليه وسلم، أما ريحانه فهى بنت زيد النضرية أو القرظية، كانت من سبايا قريظة، فاصطفاها لنفسه صلى الله عليه وسلم. وهناك قول آخر بأن جوارى الرسول صلى الله عليه وسلم كن أربع: مارية، ريحانه وجارية أخرى أصابها فى بعض السبى، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش زوجته[٢٧].

(٢٤) شبهات حول العصر العباسى الأول صـ٤٥ ، ٤٦.

(٢٥) المغنى لابن قدامة جـ٧صـ٤٦٧ المصدر السابق.

(٢٦) المغنى جـ٨ صـ١٥٠، شبهات صـ٤٦.

(٢٧) زاد المعاد جـ١صـ٢٩/ الرحيق المختوم صـ٤٣٥.

وفى الفقه: ليس للرجل عدد محدد من الجوارى، وإذا ولدت الجارية أصبحت أم ولد، وإذا مات تتحرر، وأولادها أحرار تابعين لأبيهم والخلاصة أن الرشيد وخلفاء هذا العصر لم يكن يفعل أحدهم إلا ما أمر به القرآن والسنه واجتهادات الفقهاء فى أمر ملك اليمين من الجوارى. وأمر الرقيق والجوارى يطول فيه الحديث، فقد أفرد له العلماء والفقهاء أبواباً فى كتب الفقه والسنن، ويمكن الرجوع إلى الكتب التالية للإستزادة: نيل الأوطار للشوكانى، زاد المعاد لابن القيم، كتب الفقه الأربعة لأبى حنيفة والشافعى ومالك وأحمد، فقه السنه لسيد سابق، لارق فى القرآن لإبراهيم هاشم .

(٣) قصص ألف ليلة وليلة:

الناس منذ أقدم العصور يحبون سماع القصص والحكايات والحوادث والمثيرة والأساطير. وكان القصاصون يقصون على الناس قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين والمجاهدين وغيرهم من ذوى الميزات والأحوال النادره(٢٨).

أقبل العامة من مختلف البلاد الإسلامية ولاسيما مصر، على السماع من القاص، وبالتالى اهتم القصاصون باختيار قصصهم التى تعجب العامة وتجعلهم يلتفون حولهم، وإذا لم يسعفهم الإختيار وضعوا قصصاً من عندهم ، وصار الرواة يتناقلون هذه القصص رواية أو تدويناً(٢٩).

وفى القرن الرابع الهجرى ازدادت العناية بالحكايات فى مصر والعراق وكانت تروى للناس فى المنازل والمساجد والمجامع العامة، وكان القصاصون فى

(٢٨) الف ليلة وليلة: طاهر الطناحى صـ٦– ٧ بتصرف.

(٢٩) ألف ليلة وليلة: حسن جوهر وآخرون جـ١. بتصرف.

العصر الفاطمى ينتافسون فى جمع الحكايات من الوراقين والرحالين، وصنف المؤرخون ايضاً الحكايات الكثيرة، ومن هؤلاء :الجهشيارى صاحب كتاب «الوزراء» الذى جمع نحو ألف حكاية غريبة مما وضع عن أحوال العرب والعجم وقد ظن البعض ان ماجمعه الجهشيارى هو أصل ألف ليلة وليلة. وهناك من القصص- فى ذلك القرن- من عرف مؤلفيها، ومنها من لم يعرف لها مؤلف، وقد يكون القصاصون المحترفون هم الذين وضعوها لأنفسهم، ومن أشهر هذه القصص: قصة عنترة، بكر وتغلب، شيبان مع كسرى أنو شروان، مجنون ليلى، أحمد الدنف، دليلة المحتالة، حسن شومان(٣٠).

ومن الجدير بالذكر أنه بين القرن الرابع والقرن العاشر إزدحمت الحكايات الموضوعة والمنقولة وكثرت القصص العربية والهندية والفارسية وتناقلها الرواه فى العراق ومصر والشام عاماً بعد عام. وجمع المؤلفون كثيراً منها فى كتبهم ومصنفاتهم. وكان أعظم ماجمع من ذلك كتاب « ألف ليلة وليلة » .

يقول محمد ابن إسحاق «ابن النديم» فى كتابه «الفهرست» : أول من صنف الخرافات وجعل لها كتباً وأودعها الخزائن الفرس الأول، ثم أغرق فى ذلك ملوك الأشغانية، وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس، ونقلت ذلك العرب إلى اللغة العربية ، وتناوله الفصحاء والبلغاء ، فهذبوه ونمقوه، وصنفوا فى معناه مايشبهه . فأول كتاب عمل فى هذا المعنى كتاب هزار افسانة، ومعناه ألف خرافة، وكان السبب فى ذلك أن ملكاً من ملوكهم كان إذا تزوج إمرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد. فتزوج بجارية من بنات الوزراء لها عقل ودراية يقال لها

(٣٠، ٣١)الف ليلة وليلة: طاهر الطناحى جـ١ صـ٧-٨ بتصرف.

شهر زاد، فلما حصلت معه ابتدأت تخرفه وتصل الحديث عند إنقضاء الليل بما يحمل الملك على إستبقائها، ويسألها فى الليلة الثانية عن تمام الحديث إلى أن أتى على ألف ليلة..[٣٢].

ولما كان كتاب الهزار افسانة غير موجود، فإن البحث فى أصل الليالى يزداد غموضاً[٣٣].

ومنذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادى. إهتم الباحثون والمستشرقون بأمر ألف ليلة وليلة للوصول إلى كنهها. وكان من أوائل هؤلاء المستشرقون «سلفستردى ساسى» وقد أنكر إمكان قيام فرد واحد بتأليف هذا الكتاب، ثم المستشرق (ملر) ثم المستشرق «نولدكه» الذى قسم قصص الكتاب إلى ثلاث طبقات:

الأولى : نواة الكتاب وتشمل القصص التى أخذت من كتاب هزار افسانه وقد ترجمت إلى العربية فى القرن الثالث الهجرى.

الثانية: القصص التى وضعت فى بغداد.

الثالثة: القصص التى أضيفت إلى الكتاب فى مصر.

الرابعة: القصص التى أضيفت فى العصور المتأخرة .

ولاريب أن القصص الأولى فى ألف ليلة وليلة هى من النواة الفارسية كقصة الملك شهريار وأخيه شاه زمان وقصة التاجر مع العفريت والصياد والجنى. وحكاية الحصان المسحور. وسيف الملوك ، وحكاية قمر الزمان ، وغيرها من

(٣٢) المصدر السابق صـ٩.

الأساطير الأخرى الفارسية والهندية ... أما القصص البغدادية فمنها القصص التى يتردد فيها اسم هارون الرشيد، وأبى نواس، وأبو دلامه، والقصص التى تتناول حياة الجوارى ومجالس الأنس والطرب، وحكايات الحب والهيام وغيرها... وأما القصص المصرى فهى كثيرة منها حكاية الوزيرين نور الدين وشمس الدين وعلى بابا والأربعين حرامى وعلاء الدين والرجل الصعيدى وزوجته الأفرنجية .. وغيرها(٣٤).

وألف ليلة وليلة مجموعة من القصص الشعبى ، لغته بين الفصحى والعامية يتخللها شعر مصنوع أكثره، مكسور، ركيك .. ومن الملاحظ أنها منتشرة بين أمم الأرض. فالناس ترى فيها أجمل الغرائب وتنوع الأخبار وفيها من الفساد مايجعلها خطراً على الفتيان والفتيات(٣٥).

ومن الجدير بالذكر أن النصوص العربية لألف ليلة وليلة التى انتهت إلينا فى التاريخ الحديث، قد أخذت عن النص المصرى، ويرجع هذا إلى المستشرق «زوتنبرج» الذى درس جميع المخطوطات التى كانت موجودة واستطاع الحصول عليها وموازنتها. وكانت هذه المخطوطات قد جمعها واحد من الشيوخ. وقد كانت هذه القصص والحكايات متفرقة ولم يسجل المستشرق اسم الشيخ فى يومياتهم أثناء زياراتهم للقاهرة . بل تركوا مكان اسمه بياضاً. وهذا النص المصرى هو الذى طبعت منه أول طبعة فى مطبعة بولاق عام ١٢٥١هـ-١٨٣٥م ، ثم طبعت الطبعة الثانية سنة ١٢٧٩هـ(٣٦).

---

(٣٣) هارون الرشيد صـ١٢٥.

(٣٤) ألف ليلة وليلة ، جـ ١ ، ص ١٠-١١ طاهر الطناحى بتصرف.

(٣٥) هارون الرشيد : ص ١٢٤-١٢٥.

(٣٦) ألف ليلة وليلة ، جـ ١ ، ص ١١ ، ١٢ طاهر الطناحى بتصرف.

خلاصة القول:—

أولاً: أن أصل هذه القصص فارسى، وأنها ترجمت فى القرن الثالث الهجرى وهارون الرشيد كان فى القرن الثانى الهجرى مما جعله لم يسمع بها.

ثانياً: أنه لم يعرف لها مؤلف، بل جمعت من الوراقين والرحالين الذين لم يعرف أسماءهم ولم يسجلوا فى سند الروايات. فربما كان هؤلاء أو بعضهم يكره هارون الرشيد فوضع هذه الرواية أو تلك لتشويه حياته، ما اسم الرواه ؟ ما اسم المؤلف ؟ لاندرى ...!!

ثالثاً: النسخ المطبوعة والمخطوطة كلها تختلف فى الترتيب والليالى فنجد مايسوقه بعضها فى مائة ليلة مثلاً يسوقه بعضها الآخر فى عشرين ليلة ، ويختلف ترتيب القصص اختلافاً كبيراً، فنجد قصة فى الجزء الأول من نسخة هى نفسها فى الجزء الثالث من نسخة غيرها(٣٧).

رابعاً: وبعض الأصول أو الطبقات فيها قصص وحكايات ليست موجودة فى غيرها من الأصول والطبقات الأخرى، . بل إن بعض الكتب وضع فيها حكايات طويلة أو قصيرة... تختلف عن غيرها فى كتب أخرى فى الأسماء والأماكن وغيرها. والقصة الواحدة تطول فى كتاب وتقصر فى كتاب آخر(٣٨).

(٣٧) ألف ليلة وليلة : جـ ١ ، المقدمة حسن جوهر وآخرون . بتصرف.

(٣٨) المصدر السابق .

خامساً: والليلة الواحدة كذلك تطول فى كتاب وتقصر فى كتاب آخر. وقد تقصر إلى حد يجعلك تستطيع أن تقصها فى دقائق ومفروض أنها كانت تقص فى ليلة ، وأكثر من هذا أن قصة الليلة المائة مثلاً نجدها فى كتاب غير قصة الليلة المائة التى يرويها كتاب آخر. وكلتا هما غير القصة التى يرويها كتاب ثالث وهكذا.

وأساليب التعبير فى الخبر الواحد تختلف إختلافاً كبيرا[٣٩].

سادساً: وأكثر من هذا أنه حينما يذكر هارون الرشيد، ودار الخلافة ، ومدينة بغداد مثلاً فإن مايذكره لايصور مدينة بغداد، ولكنه يصور فى كثير من الأحيان حياة القاهرة التى انتقلت إليها الخلافة الإسلامية بعد بغداد[٤٠].

سابعاً: اتفق المستشرقان (دى ساسى) و « فون همر» على أن القصص التى ورد فيها هارون الرشيد : مصرية الصفات والوقائع، قاهرية اللغة، فلغتها هى لغة المماليك فى دواوينهم أخريات أيامهم، والقصص مختلفة الأصول، مختلفة الأقطار والبيئات، ولكن ناسجيها نسجاً عربياً مصريون أولا[٤١].

بعد هذا العرض نستطيع أن نقرر فى كثير من الثقة أن قصص ألف ليلة وليلة قصص خيالية وأساطير غير واقعية ومجهولة . وكذب. وافتراء. وضعها دجالون لتشويه سيرة هارون الرشيد، وغيره.

(٣٩-٤١)المصدر السابق.

ولشغل الناس بها، ولنشر الرذيلة والفساد بينهم. فهى ليس لها مؤلف ولا رواة . وبالتالى لاتصلح بأى حال أن تكون مرجعاً تاريخياً.

٤- كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني :

ومن الكتب التى شوهت سيرة هارون الرشيد كتاب الأغانى ، فقد وصف هارون بالخلاعة والمجون والفسق، وألصق به زوراً وبهتاناً أخباراً ماجنة مع أبى نواس الشاعر. وقد روج لهذه الإفتراءات كثير من دور النشر الغربية والعربية .

وكتاب الأغانى هذا كتاب أدبى لا تاريخى، وهو كتاب مشكوك صراحة بأمانة مؤلفه والرواه الذين روى عنهم.

أولاً: المؤلف :

واسمه أبو الفرج على بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموى ، وجده مروان بن محمد المذكور آخر خلفاء بنى أمية(٤٢).

ولد أبو الفرج فى أصفهان سنة ٢٨٤هـ ونشأ فى بغداد والكوفة وله تصانيف كثيرة منها : كتاب الأغانى، الخمارين والخمارات، مناجيب الخصيان. وغيرها.

وكان أبو الفرج كاتباً فى ديوان ركن الدولة البويهى الشيعى ونال عنده حظوة ومكانة عالية ، والسبب فى هذه المكانة والحظوة اتفاقهما فى التشيع، فقد كان ركن الدولة يتعهد الشيعة بالأموال الكثيرة . والمنح الجزيلة، وأبوالفرج

(٤٢) وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص ٣٠٧ ، البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص ٢٦٣.

كان قد أخذ التشيع عن أمه، وهى من آل ثوابه، وأسرة آل ثوابة كانت مسيحية، ثم اعتنقت الإسلام ومالت إلى التشيع، وكذلك كان لنشأته فى الكوفة أثر كبير فى تشيعه(٤٣). وهذه بعض أقوال العلماء فيه :—

* قال الإمام ابن كثير: «وكان شاعراً أديباً كاتباً عالماً بأخبار الناس وأيامهم وكانه فيه تشيع.......(٤٤)
* قال الإمام ابن الجوزى : « ومثله لا يوثق به ، فإنه يصرح فى كتبه بما يوجب العشق ويهون شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتاب الأغانى رأى فيه كل قبيح ومنكر(٤٥).
* قال الخطيب البغدادى : « كان أبو الفرج الأصبهانى أكذب الناس، كان يشترى شيئاً كثيراً من الصحف، ثم تكون كل روايته منها(٤٦).
* وقال الشيخ الذهبى : كان إليه المنتهى فى معرفة الأخبار وأيام الناس والشعر والغناء، والمحاضرات، وكان يأتى بأعاجيب بحدثنا وأخبرنا(٤٧).
* وقال هلال بن المحسن الصابى : كان أبو الفرج الأصفهانى وسخاً، قذراً، ولم يغسل له ثوباً منذ فصله إلى أن قطعه، وكان الناس على ذلك يحذرون لسانه، ويتقون هجاءه، ويصبرون على مجالسته، ومعاشرته، ومؤاكلته، ومشاربته، وعلى كل صعب من أمره، لأنه كان وسخاً فى نفسه، ثم فى ثوبه ، وفعله..(٤٨).

---

(٤٣) السيف اليمانى ، ص ١٧ ، ١٨.
(٤٤ ، ٤٥) البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ٢٦٣.
(٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨) السيف اليمانى ، ص ٢٠ ، ٢١.

ثانياً: الرواة الذين روي عنهم :

اعتمد أبو الفرج فى كثير من أخباره فى الكتاب على طائفة خبيثة من الرواة الكذابين والمطعون عليهم. وقد جمع الأستاذ: وليد الأعظمى صاحب كتاب السيف اليمانى أسماء بعض هؤلاء الرواة الكذابين وأقوال العلماء فيهم ، وقد آثرت أن أنقل هذه القائمة بشئ من الإيجاز(٤٩).

* محمد بن أحمد بن مزيد ابن أبى الأزهر البوشيخى: كان ضعيفاً فيما يرويه، غير ثقة ، كان يضع أحاديث كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
* الهيثم بن عدى الكوفى : ليس بثقة ، كذاب، متروك الحديث، ليس بشئ، صاحب أخبار وتدليس، غير موثق.
* هشام بن محمد بن السائب الكلبى : متروك ، ليس بثقة ، لايوثق به.
* أبو النضر محمد بن السائب الكلبى : كذاب ، متروك، ليس بثقة كان من كبار الوضاعين.
* أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار، المعروف بحمار العزير: حاقد، كثير الوقيعة بين الأكابر بمعنى أنه كثيرا لطعن واللعن والشتم لأكابر الأمة والسلف الصالح والأئمة الأماجد الأماثل.
* محمد بن زكريا بن دينار الغلابى البصرى: وضاع (يضع الحديث) .
* أبو توبة القاص : شيخ بصرى ضعيف، كذاب.
* عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب : كان من الكذابين ، منكر الحديث يضع الشعر والكلام وأحاديث السمر وينسبه إلى العرب، فسقط علمه وخفيت روايته.
* إبراهيم بن أيوب البرسانى الأصفهانى : مجهول.
* أحمد بن معاوية الباهلى: حدث بأباطيل، وكان يسرق الحديث .

---

(٤٩) السيف اليمانى، ص ٢٧-٤٣.

* محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفرى : منكر الحديث. متروك.
* يوسف بن إبراهيم الجعفرى : ضعيف الحديث، منكر الحديث. صاحب عجائب، ليس بالقوى، ليس معروف ، ولا له كثير حديث، يروى عن أنس ماليس من حديثه، لاتحل الرواية عنه.
* محمد بن دأب : كذاب، ضعيف.
* إسماعيل بن زيد بن مجمع : ضعيف.
* عيسى بن عبد الله بن محمد العلوى: متروك الحديث، يروى عن آبائه أشياء موضوعه.
* أيوب بن سيار الزهرى: ليس بشئ، غير ثقة ، متروك لا يكتب حديثه، وكان من الكذابين ، ضعيف الحديث.
* أبو الحجاج ، النضر بن طاهر: يسرق الحديث، ويروى عن من لم يره ممن لايحتمله سنه، كذاب، يبالغ فى الكذب.
* محمد بن عمار بن محمد بن عمار : هو وأبوه مجهولان.
* عثمان بن عمارة بن حريم المرى : ذكر له الإمام الذهبى حديثاً واحداً ، ونبه على كذبه، قال: قاتل الله من وضع هذا الإفك (الكذب).
* محمد بن حميد الرازى: متهم فى كل شئ، يتجرأ على الله، كان يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضها على بعض.
* إسماعيل بن زياد الطائى : قال ابن حجر العسقلانى : شيخ دجال، لايحل ذكره فى الكتب إلا على سبيل القدح فيه.
* محمد بن على بن معاذ السمرقندى : كذاباً، يضع على الثقات روايات لم يذكروها. ويروى عن من لم يلحقهم فهو متروك الرواية .
* سعيد بن سلام العطار : كذاب، ضعيف، يضع الحديث، منكر الحديث. قال الإمام أحمد عنه : كذاب، اضرب على حديثه.

وبعد هذا العرض الموجز لكتاب الأغانى ومؤلفه ورواته نستطيع أن نقرر فى كثير من اليقين والثقة أنه لايعتد به كمصدر من مصادر التاريخ، لفساد المؤلف والرواة.

وهكذا فإن جميع الشبهات التى أثيرت حول هارون الرشيد باطلة غير صحيحة فكان بحق الخليفة المسلم المؤمن المجاهد الغاز الحاج المفترى عليه.

انتهى الكتاب
ولله الفضل
والمنة

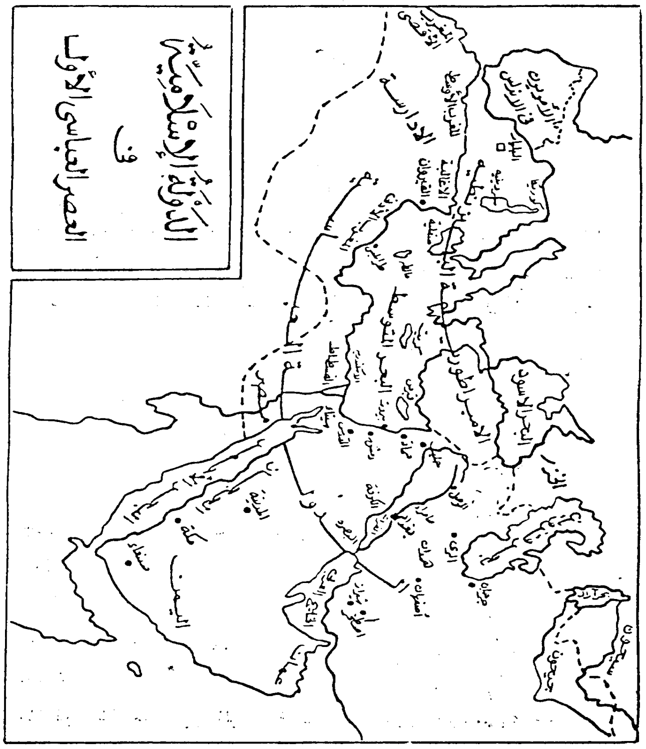
الدولة الإسلامية
في
العصر العباسي الأول

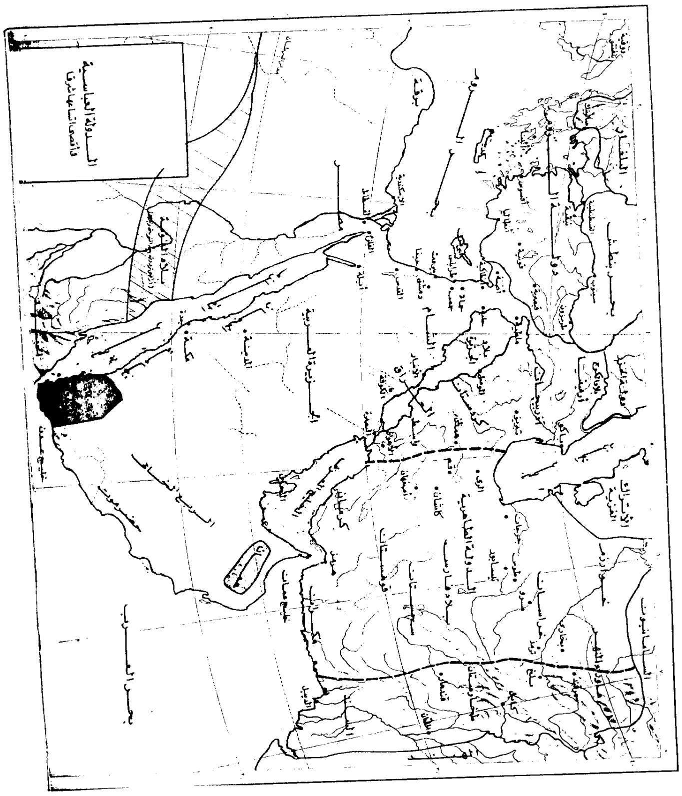
الدولة العباسية
وأقصى اتساعها شرقا

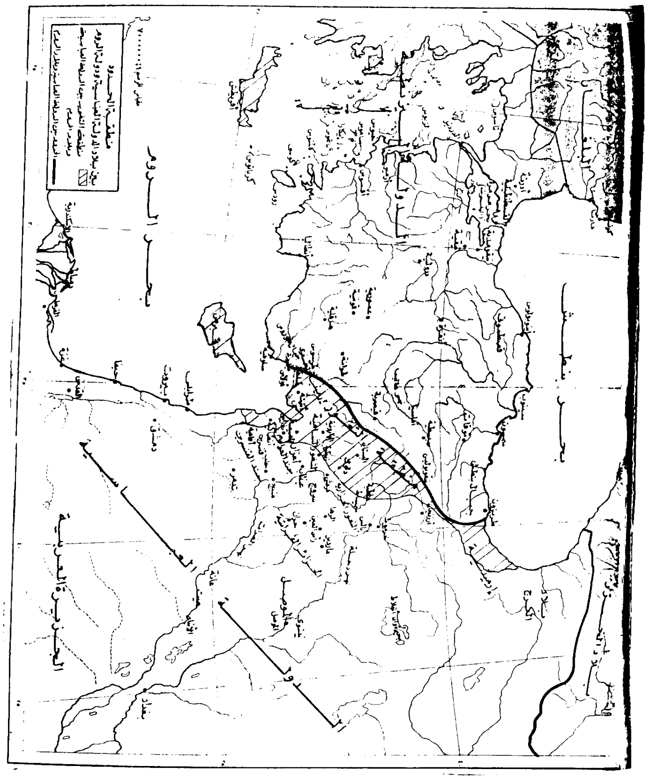

المصادر والمراجع

- البداية والنهاية : الحافظ بن كثير - الطبعة الأولى ١٣٥١هـ/١٩٣٣م. دار الناشر الفكر العربى- دار النيل للطباعة (الجيزة - القاهرة).
- تاريخ الأمم والملوك: أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م - منشورات مؤسسة الأعلمى، للمطبوعات (بيروت - لبنان).
- الكامل فى التاريخ : للإمام العلامة بن الأثير - الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. دار الكتاب العربى - بيروت.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبى بكر ابن خلكان - تحقيق د. إحسان عباس وآخرون. دار الثقافة - بيروت - تحقيق - محمد محيى الدين عبد الحميد.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر : أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى - الطبعة الخامسة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م - دار الفكر.
- مآثر الإنافة فى معالم الخلافة : أحمد بن عبد الله القلقشندى - تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، جـ١١ من سلسلة التراث العربى تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء فى الكويت - طبع مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٦٤م.
- تاريخ الخلفاء : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى - الطبعة الرابعة ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م - دار مصر للطباعة .

- النجوم الزهرة : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تفرى بردى الأتابكى، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية (مصورة) ١٣٤٠هـ/ ١٩٣٠م.
- موسوعة التاريخ الإسلامى : د/ أحمد شلبى - الطبعة الثامنة ١٩٨٥م . مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .
- التاريخ الإسلامى : محمود شاكر - الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ ، المكتب الإسلامى (بيروت - دمشق) .
- تاريخ الإسلام : د/ حسن إبراهيم حسن - الطبعة العاشرة ١٩٨٣- مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .
- مقدمة بن خلدون : الطبعة السادسة - ١٤٠٦هـ/١٩٨٦ . دار القلم - بيروت.
- رحلة ابن جبير : أبى الحسن محمد بن أحمد بن جبير - طبعة ١٩٨١ ، دار ومكتبة الهلال - بيروت .
- فتوح البلدان : أبو الحسن البلاذرى، إشراف لجنة تحقيق التراث ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م . دار ومكتبة الهلال - بيروت.
- أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ : د/ إبراهيم على شعوط- الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م - المكتب الإسلامى (بيروت - دمشق) .
- أغاليط المؤرخين: د. محمد أبو اليسر عابدين - طبعة ١٣٩١هـ/١٩٧٢م ، دار العروبة للطباعة والنشر - بحصة - طاووسية - دمشق.
- السيف اليمانى فى نحر الأصفهانى صاحب الأغانى : وليد الأعظمى- الطبعة الثانية ١٤١٠هـ/١٩٨٩م - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة ، ج.م.ع.

- محاضرات فى التاريخ العباسى والأندلسى : د. سعيد عبدالفتاح عاشور ، طبعة ١٩٧٣ - مكتب كريدية إخوان - بيروت.
- منهج كتابة التاريخ الإسلامى : محمد بن صامل السلمى - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م - دار الوفاء للطباعة والنشر - المنصورة ج.م.ع.
- دراسات فى التاريخ العباسى : د. حسن على حسن . طبعة ١٩٩١م-١٩٩٢م - مكتبة الشباب - جامعة القاهرة كلية دار العلوم.
- منهج النقد التاريخى الإسلامى : د/ عثمان موافى - طبعة ١٩٩٣ ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ج.م.ع.
- التاريخ الإسلامى وفكر القرن العشرين : د. فاروق عمر . الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م - دار إقرأ - بيروت.
- التاريخ الإسلامى العام : على إبراهيم حسن - مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .
- الرسائل الخمس : لأبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى تقديم وتعليق الشيخ أحمد حسن جابر رجب - هدية مجلة الأزهر ، جمادى الآخرة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م - مطابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية .
- مالك بن أنس إمام دار الهجرة : عبد الحليم الجندى -- دار المعارف - القاهرة.
- وصية أبى يوسف لهارون الرشيد : د. محمد إبراهيم البنا - دار الإعتصام ، القاهرة .
- نساء فاضلات: عبد البديع صقر- طبعة ١٩٨٤ - الناشر دار الاعتصام-مصر.
- التاريخ العباسى: عبد الملك الشيبانى- الطبعة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- الهيئة العامة للمعاهد العلمية- اليمن.
- شبهات حول العصر العباسى الأول : د. مؤيد فاضل ملا رشيد - الطبعة الأولى - ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م . دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة ج.م.ع.
- ألف ليلة وليلة : تحقيق وتقديم طاهر الطناحى ، طبعة دار الهلال ، مصر .
- ألف ليلة وليلة : حسن جوهر، محمد أحمد برانق، أمين أحمد العطار، طبعة دار المعارف - مصر - عام ١٩٥٢ .
- زاد المعاد فى هدى خير العباد : الإمام ابن القيم الجوزية - المطبعة المصرية ومكتبتها - مصر.
- الرحيق المختوم : الشيخ صفى الرحمن المباركفورى ، دار إحياء التراث ، مصر.
- فقه السنة : الشيخ - السيد سابق، تقديم الإمام الشهيد حسن البنا - الطبعة الثالثة ١٤١١هـ/١٤١٢هـ - دار الفتح للإعلام العربى ، القاهرة.
- لارق فى القرآن : إبراهيم هاشم الفلالى - سلسلة كتب قومية ، العدد ٢١٢- الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة .
- هارون الرشيد : شوقى أبو خليل - طبعة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر - دمشق - سوريا.
- إتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى : د. محمد مصطفى هدارة . الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م - دار العلوم العربية للطباعة والنشر - بيروت.
- أطلس تاريخ الإسلام : د. حسين مؤنس - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. الزهراء للإعلام العربى- القاهرة.

الفهـــــرس

الموضوع	الصفحة
– المقدمـــــة	٣
– عائلة هارون الرشيد	٩
– مولده وتربيته وزواجه	٢٢
– توليه الخلافه وأهم الحوادث فى عصره	٢٩
– صفاته وأخلاقه ومآثره	٦٦
– التهم والشبهات التى أثيرت حوله	٨٦
– المراجع والمصادر	١١١

رقم الإيداع : ٧٢٩٦/ ١٩٩٤م
I . S .B .N : 977 - 00 - 7301 - 6

مطابع الوفاء - المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت: ٣٤٢٧٧٢١/٣٥٦٢٢٢٠/٣٥٦٢٢٣٠
ص.ب: ٢٣٠ فاكس ٣٥٩٧٧٨